مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

نعيم عطية

قبلة الريح

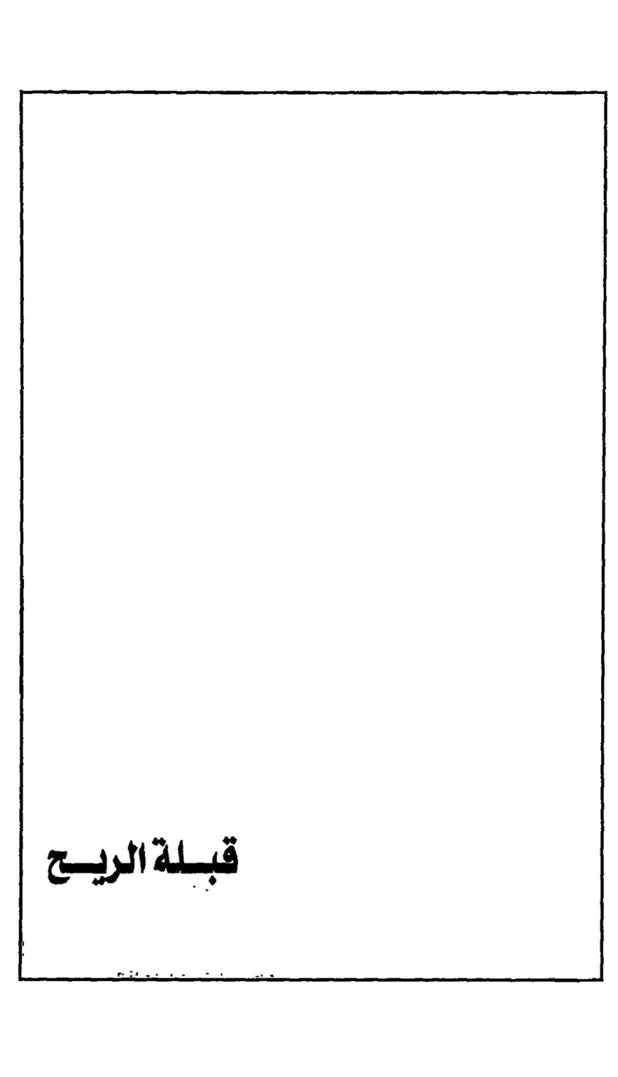
بداع الشباب



إهـــــــداء2006

ورثة الكيميائي/ محمد فاروق الفران

الإسكندرية



قبلة الريح

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: مراعى صغيرة فى الربيع

التقنية: ألوان زيتية

المقاس: ٥٤×٧٣ سم

ألفريد سيسلى (١٨٣٩ - ١٨٩٩)

مصور فرنسى من أصل إنجليزى ابتدع مع آخرين الأسلوب التأثيرى فى تصوير المناظر الطبيعية وأصبح من أبرز ممثلى هذا السلوب.

واللوحة المنشورة على الغلاف بعنوان «مراعى صغيرة فى الربيع»، تعد من النماذج الرائعة للتدليل على أسلوب الفنان.

محمود الهندى

قبلة الريح

نعيم عطية



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(إبداع الشباب)

قبلة الريح

نعيم عطية

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى. وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخًا تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء) . وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان



بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى فوزى

الذى هاجر بعيدا ، واستقر ، ودفن جثمـانه فى الثلج ، هناك •

أما روحه فلازالت فى الدفء تحيا ، ترفرف مثل النسمات ، هنا •

فى شارع الاسكندرانى ، والشاطبى ، والشلالات•

. . . . .

هنا ، وان كان لا ينبت ثمر ،

يتفتح في كل الأرجاء زهر . . . .

لهذا ، كلما ظفرت بشيء

كن مثل الريح

المسافر في ديار الحكمة ،

لا يعادى أحدا

ولا ينحاز لشيء .

موسكوف ـ من « القصائد الباكرة » ـ ١٣/٣٢

ضوء قمر لا تتبدل أساريره

كتوم متحفظ . تحمل في أعماقك عزلة ترجع الى سنواتك الباكرة . تتوق الى استرداد ابتسامة شفتين كأنهما من رخام وردى ، أو من قطيفة ، أو من هذا وذاك قدتا معا . جوهرة صلبة . لم تندم على افتقادك المرح ، فقد وضعت كل ذلك في كفة ، وفي الكفة الأخرى معتقلا ، رجحت الكفة الأخرى . وحيدا منطو على نفسك رحت تبحث عن النوافذ ، تطل منها على بحار سوداء . تلمح قمم أمواجها ، في ضوء قمر لا تتبدل أساريره .

●

تطرق أبوابا ، بعضها يفتح . وفى الليل تجوس بحذر . تناجى أشباحا . وتتكىء ، اذا ما تعبت ، على جذوع شجر أجرد ، ولازال حبلك السرى موصولا برحم الليل الأكبر .

من أولئك الذين يديرون وجوههم نحونا ؟ عند المنعطف شبح أم ، وقفت ترقب من هناك، عودة الأبناء ، أو رسلا بالأخبار اليها يأتون عنهم .

●

اغلق الأبواب بسرعة . عد انزوى في ركنك . بالقرب منك عجوز على سريره مسجى . آهو آنت ؟. في هدوء الليل تعلو نغمات حزن وألم وآهات تصـــعد من حلوق البشر .

لازلت مغروسا في العزلة الأولى . تمضى قدما . تقترب من نقطة حاسمة ، آخرس آيضا . لن تعود تقوى على السير . بمجرد عبور العتبة ، ســوف يكون هــذا حالك . بصعوبة آصوغ لك هذه الفكرة .

لم أعد أحرك هذا العطن البنتن . أين هو ؟ مازلت على أي حال قادرا أن أفكر .

ابعد عن ذاكرتك ذلك العالم هناك . يجب ألا يكون له في خاطرك وجــود . زال الذى كان به يربطك . تحلل وصار آسوأ حتى من التراب .

لا شيء يضـــيع . يختفى فحسب . ثم لا يلبث أن يظهر . ربما فى آوقات غير متوقع ظهوره فيها ، أوليس بحاجة الى ظهوره فيها .

●

أعرف . انت محق . تغلق بابك وتصد عن ذاتك ذلك الخارج الذى أضحى منفرا ، عدوانيا ، ســقيما ، ولكن الذات اذا انغلقت أيضا تخربت ، آليس كذلك ؟ بين الذات والخارج حوار ، وتواصـــل ، ومبـــادلات . لا تقطع هذا الحوار ، وهذا التواصل لا تبدده . حتى

لا تضحى قوقعة جوفاء · ربما سكنك مخلوق آخر ، أنت عنه لا ترضى ·

●

من أين جاءت كلمات مثل هـذه ؟ أكان يجب أن نصل الى هنا ، كى ندزك خواء الكلمات ؟ تلك الزكيبة الملأى بالـكراكيب التى ما عاد لهـا جدوى ، اما كان الأفضل أن ننفضها عن كواهلنا المتعبة ؟

الى أنوفنا يفد عبق زخم ، والأصوات انطفأت لكن أصداءها فى السكون لازالت ترن · كل شىء يجرى في الذهن · لا شىء تحقق ·

●

أكاد أجزم بأنه مؤلف كوميديات مفجعة · حسه الساخر حارق لاذع وبالانسان لا تأخذه رحمة أو شفقة · ومع ذلك تصـفق له الصالة كل ليلة ، ويمضى الممثلون يمثلون الأدوار التى يفرضها عليهم ، فهـو أيضا ممول الفرقة والمخرج الأوحد ، وان كان لا يظهر على اللافتات اسمه · وفى الكواليس يمضى متسترا ، متواضعا شـأن العباقرة ، فهو ولا شك سمج ولكن عبقرى ·

محور أساسى واحد تدور حوله أعماله المسرحية · تتنوع التسميات والبيئات والأماكن والأزمنة ، وتخلع أقنعة ، وترتدى أخرى ، ومع ذلك تمضى الملهاة المؤسية على خشبة المسرح ، أو بعبارة أدق بين الضلوع ، تدور وتتأرجح ·

●

لم يعد لنا غير الضحك :

في مقهانا هذا ، في « مرحبا » ، ما عاد لنا سوى الضحك ممن أتوا وممن سيأتون ، أو حتي ممن سوف لا يأتون ، وهذا غير محتمل ، حسب الظواهر والسوابق، حتى من هؤلاء على أى حال ، ان وجدوا ، لم يبق لنا غير الضحك .

●

تصعد جبالا ، وتتبوأ عروشا . تغوص في أعماق بحار ، تصارع هناك وحوشا ، وتلتقط لتلك الادغال صورا وافلاما . تنزل الى باطن الارض ، تستخرج ذهبا ومعادن ، أو تدق بريمات وخوابير في صحار او بقاع موحلة ، فيتدفق البترول بين يديك وتملأ منه براميل . تضحى أغنى الأغنياء ، لكنك ذات يوم سوف تصرخ قائلا كنت أغنى الأغنياء . ماذا نفعنى أن أكنز نقودا في البنوك ، أو أجمع معلومات ومعارف عن سياسة الى شركات ، وأراجع احصاءات للخسائر والأرباح والصفقات . سوف تحلق في السماء ، بالطائرات وتنطلق في نزهات ورحلات ، وتقضى الأصياف في الريفيرا أو بيرميودا ، أو تسهر في علب الليل سهرات وسهرات ، وتنتشي بالكؤوس تلو الكؤوس، تلمس لحما طريا دافئا، وتتحسس ثنيات وانبعاجات . كل هذا لا يمثل انجازا ولا يعطى مذاقا . حتى لو صليت في اليوم الواحد مئات الصلوات ، لا شيء يدخل السكنة الى القلب .

لا شيء . وددت فحسب أن أعيد الشريط كي أكتشف من جديد نفسي . لم أعرف ، ويهمني الآن ، ولو بعد الاوان ، ان أعرف من أنا ؟ كان يجب أن أعرف ماذا أريد . أن أعرف على وجه التحديد ذاتي الحقيقية وليس المحجبة بألف قناع وقناع . سوف تدخل الآن يدك في تجويف صدرك . تبحث عن قلبك لتخرجه وتتحاور معه . سوف تنظر اليه بمحجريك ، واذا بك وأنت تتأمل يدك الخاوية ، تجد انه ما عاد لقلبك في صدرك وجود ، ولا بالتالي في راحتك ، وبين أصابعك التي تطبق الآن على لا شيء . الخواء ممتد ، لا من حولك فحسب ، بل وفيك أيضا . ستنهد لذلك مهموما في ركنك ، ولكن أشدد من عزيمتك فهي الشيء الوحيد الذي بقي لك .

تعال نتجاذب الحديث ، ونثرثر . نحدد ماذا يجب أن يكون هدف وجودنا ، على ضوء ما نحن فيه الآن . لا تخف . لا ترتعد ، ولا تصرخ ، فالوجود باق مادام لي ولك وجود . مهما أطبقت راحتانا على الريح فحسب .

سوف تكتشف من تحاورنا أن هذا المكان مكان ، أما هناك فالمكان بالقطع لا مكان ، والناس هناك أشباح يجولون في قيظ الهجير ، بلا هدف . يصعدون جبالا ، ينزلون بحورا ، ويحفرون أنفاقا وسراديب . هيا قل : وأنت ماذا كنت تريد أن تكون ؟ صانع لعب أطفال ؟ أدخل يدك في صدرك من جديد ، فربما وجدته الآن .

أوهم نفسك بأنه هناك . شارع باخراجه ودقق النظر فيه . آلا يزال هناك ؟

اخترت أنا الصوت . اخترت الحوار . هذا ما ظل باق لنا . الصوت بالنسبة لى وجود . والوجود يعنى التفكير فى الخيوات الآتية والتى ولت . الوجود ، يعنى الحرية . والحرية تعنى آلا آمل فى شىء ، وألا أخاف شيئا . الوجود اذن خزانة خبرات . وهى الخزانة الوحيدة التى لا تفنى ولا تستنفد ، مهما امتدت يد النهابين اليها . هنا تصبح لأحلامنا قيمة ، حتى لو كانت هذه الأحلام كوابيس ، وهنا فى مقهانا هذا لا وجود الا للكوابيس التى ألفناها .

هيا أسمعنى صوتك ، ولو كان صراخا أو نحيبا ، أو ضحكا ، فحتى جلستنا هنا قد تصبح ذات يوم بكل تفاصيلها ذات قيمة لكاتب جهم جاد يعرف كيف يضحك ضحكة سوداء من تحت كز الأسنان ان وجدت . وانى لأعرف واحدا تنطبق عليه ، أو كانت تنطبق عليه هذه الأوصاف ، اسمه ــ ان لم تخنى الذاكرة ــ اسمه نعيم .

وددت أن أولد نعامة

(خطـــوات)

كنا نسير جنبا الى جنب في ليلة من ليـالى صـيف بعيد، عائدين الى بيتنا ، وما كنا نود بأعماقنا آن ينتهى بنا الطريق . كنا نتسامر فى تلك الأيام الشبابية ، ولا نمل السمر . أذكره ، امسك بذراعى . حدق الى الفضاء المترامى أمامنا ، وأشار الى هناك ، الى « مسجد نبى الله دانيال » ، قائلا : بالابتعاد عن المنظر يستقيم المنظـور ، اذ تجوب العين بحرية فى جنبات المساحة . ومن ثم يمكنك أن تضع الأشياء في موضعها الصحيح . وهى بدورها تتمكن من اعادة ترتيب نفسها . وهكذا يصبح استيعاب الوجود ممكنـا . وبالتالى تلقى الذات مقامها الصحيح .

(خطوات تخفت مبتعدة)

كان يصغرنى بستة آشهر ، ولكنه رحـل مبكـرا

وتركني أتخبط في هذه الجنبات ، محاولا أن أستجلي وضعي في حيز مكان أصم أبكم .

(خطوات تجرى مهرولة)

أهيم على وجهي ، غير قادر على الفهم ، عاجزا عن التأقلم . أحاول أن أخرج . يمسك ذلك التيه العدواني المخاتل بتلابيبي أينما ذهبت . أخطو في شعابه وحيدا متخبطا ، ضالا طريقي .

(لهاث ، وخطوات متخبطة)

الوجود يأخذ بخناقي ، الى الضلال يلقي بي هالكا مغضوبا علي . لم أعتد الكذب على النفس ، والمنافقة

وددت أن أولد نعامة تدس رأسها في الرمال عند اقتراب الخطر .

عدت أقول لنفسي معزيا انه عندما تكتمل المسيرة ، ربما اكتسب كل شيء معنى ، يدخل الى قلبي السكينة .

من الرصيف المقابل ، وقدت ضحكة الخنفاء ذات الشعر القصير الأصفر ، وهي تستدير عند المنعطف ، وتختفي .

(الخطوات تتوقف . اللهاث يسكت . يعم الهدوء)

وقفت أنا وهو عند منعطف شارع « النبى دانيال » ، وأشار الى جياد جنزية سوداء ، تمضى تهز رؤوسها ، وتميلها يمنة ويسرة مثيرة للحزن ، مسايعه في موكب لا نهاية له . علا وقع سنابكها الرتيب . قال هذه المسيرة تحتضن كما وكيفا تلك المسيرة الحسنة التى يسيرها الوجود بأسره .

●

لا تعتقد ان التجوال محاولة للاستحواذ على الوجود . كلا ، الوجود من حولنا يولى ، ومحاولة الاستحواذ عليه مثل الامساك بحفنة من رمل المندرة في قبضتك . مهما شددتها فان الذرات الملساء تنساب فالتة ، فاذا بسطت راحتك المطبقة ، وجدتها خواء . كل شيء خواء ، مهما أحكمت عليه قبضتك .

(صوت عجلات الترام تزحف على الأرض ، ودقات أجراسه مبتعدة)

لا تعتقد أيضا أن تجوالى فى الدروب محاولة للهرب من سجن المدينة الذى يحاصرني . كلا ، كلا ، كففت عن ذلك وما عدت آمل فى الهرب . أضحى تجوالى بين الأسوار ذات الأسلاك الشائكة وشظايا الزجاج المغروس فى الحافة الأسمنتية العالية من أجل التأقلم بالمكان فحسب . انت تعرف ذلك . فهذا فى حد ذاته مسكن أحتاج اليه ، بل ولا أستغنى عنه .

ارتضيت في النهاية سجني ·

●

(صخب حفل بهيج)

وماذا تعتقد انك واجد خارج هذه الأسوار ؟ ترف ومتع وذعة · ولك أن تتصوركم سيكون شقائي ، وانا أرقد على أسرة وثيرة ، في غرف مكيفة · وكم سيكون وخز الابر في جسدي مؤلما ، وأنا أرفل في الدمقدس والحرير · دعني قليلا أسترد توازني · مجرد التفكير في مثل تلك الحياة الجوفاء هناك ، يمرضني · يصيبني بالغثيان والدوار ·

(يضحك)

« وما دمت قد خربت حياتك هنا ، في هذا الركن الصغير ، فهي خراب أينما كنت في هذا الوجود »

●

(خطوات منتظمة)

سرنا جنبا الى جنب · انحرفنا يسارا في اتجاه «العطارين» · على الرصيف المقابل عند سينما «ستار» رأينا رجلا يحمل حقيبة تثقل خطاه ، ثم بشارع صلاح الدين عند ديوان المحافظة رأينا آخر يمضي حثيثا متخففا كما لو كان الأمر الذي يعنيه فحسب هو أن يسير في أي اتجاه · ضحك صاحبي بجهامة وقال : سوف ينتهي المطاف بأحدهما الى الموت ، وبالآخر الى سرير امرأة ، سرعان ما يغادرها ليمضي في ترحاله الى أن

تأتى ساعته بدوره ، ليدرك الأضحوكة التى تنطوى عليها الأوضاع بصفة عامة ·

قال علام تحزن أو تتحسر ، نحن لم نصنعها ، وليس لنا فيها شيء · صاحبها له حكمته فى تسيس أمورها · وقال فقط نحن نتعذب · ثم قال هذا ما لنا فيها ، لكنها ضارية ومضحكة أيضا · تثير الاستفزاز ، وتبعث الحنان فى الآن ذاته ·

●

(خطوات ، وتنهيدة)

انسان أنا هائم على وجهى فى مدينة · بتجوالى أنفصل عن الآخرين · أسعى فى طلب معنى لا أجده وان كنت واثقا فى قرارة نفسى انه موجود، وسأجده · أدقق النظر الى الأشياء دون أن ألتصق بها · تأكد ، انت من خلال الافلات من الوجود تعثر عليه ، وتلقاه من جديد ، وبفهم أفضل · هل تسمعنى ؟

(الخطوات تمضى مبتعدة ، مبتعدة)

فلأقف هنا ، مليا

(عزف كمان شجي يفد من بعيد . ويمضى مقتربا مع اقتراب الصوت)

أسمعك .

وأسألك . ما الذى عاد بك الى مدينتنا القديمة ؟ عن عزيز فقدته تبحث ، وجئت تخدع نفسك ، انك هنا ستجده ؟ عن عراف ، تنتظر منه أن ينطق بنبوءة ؟ أم جئت هربا من ثأر تخشى أن يوقع عليك ؟

ما الذى جئت الى مدينتنا من أجله حقـا ؟ يا من أمضيت سـنواتك عـلى منصـة القضـاء ، وفى أروقة المحاكم ؟ .. غم جئت ، غداة النكسة ، تبحث ؟

(صفير قطار يدخل المحطة)

جئت باحثا عن علة وجودى .

جئت للتحرى عن جريمة ظلت غامضة ، عن قاتل يخنق الربيع فى الصدور .

قلبي مدفون هنا كالميت . يقولون القاتل سيرتكب جريمة من جديد . سيبدأ بأن يقتل ثم يموت .

تصل في الشتاء ، وحيدا ، متحسرا على أيام الدفء التي مضت .

تبحث عن مأوى .

في محطة الرمل تتسكع . على النواصي في شوارع المطارين تتمهل . تتلفت حولك . لا يأبه بك أحد ، تشعركم انت مرفوض ومنبوذ في هذه المدينة . تجرجر أذيال الخيبة في الشوارع وحدك . ما وقع وقع . جئنا في الزمان الخطأ . بعزلتك تلوذ ، وتتشبث . هي مفروضة عليك . تزودك بيقظة تشحذ حواسك . تتسلل مثل قط هزيل لوى ذيله بين ساقيه الخلفيتين ، تحت وابل من المطر ، ملتصقا بحوائط محرومة ، مثلك ، من البهجة . ينتابك يأس من عدم القدرة على التآلف . الحبيبة ذات قلب بارد ، قد من ملح البحر ومن صخره . (رياح ، ومطر منهمر)

في أمسية مطيرة من ديسمبر ، أطفأت المصباح في الحجرة الكئيبة التي استأجرتها على سطح عمارة خربة . الخدم يمنحوننا اليوم سكننا . ربت على ظهر القط الأسود الذي تمطى عند باب الغرفة ، وتمسح بساقك . وخرجت الى الشوارع . التجوال ضرورة ملحة لوحيد مثلك .

وضعت يديك في جيبي سروالك ، ورفعت ياقة معطفك . تمشي الهوينا حتى يهدأ بالك . تسكعت في الأحياء التي ما عدت تعرفها . مضيت تنصت الى وقع حذائك على بلاط الأرصفة ، التي غسلتها الأمطار ، وأضحت عند قدميك تبرق مثل نجوم في السماء تتألق . وباصرار تسكت صوت العذاب المستبد بروحك . ألقيت بنفسك الى الدروب التي تغيرت أسماؤها ومعالمها . رحت تتخبط دون مقصد . ورغم كل المثبطات يتحول المسير الى عمل ارادى ، فيه عناد وتربص . ومع الوقت يتناقص اليأس ، وعلى التيه يتحقق الانتصار ، والى أذنيك يفد مواء القط الأسود .

●

(خطوات)

تغيرت كثيرا . سرت الدمامة في أرجائها . واجهات العمائر تجعدت . سقط من عليها الطلاء ، وتخربت زخارف النبات والعرائس الأسطورية . نساء شمطاوات ينحنين عليك من جانبي الطريق ، يمددن اليك أصابعهن المعروقة ، وقد طالت أظافرها واتسخت .

مثل السمك كنا ، اذا خرجنا من مدينتنا الجميلة متنا . الأزمان تغيرت . أدارت للبحر ظهرها ، ونكست الرأس تحملق في الصحراء ، علها تجد في الرمال قلائد براقة .

كنت تحب الموج الذى ينشد للحب أغنية ، والشراع الأبيض يعلو ويهبط ، ثم يضيع عند الأفق .

●

(صوت البحر)

جلست فى الكازينو الخشبى على الرمال المبللة . رحت ترشف قهوتك ، وترنو الى الأفق . دخل أشعث الشعر ، ممزق الحذاء . جاس بين المناضد الخاوية . أخرج من أوراقه المتآكلة الحواف قصاصة صفراء . تذكرته الآن ، كان فى « الشلالات » يجلس ، ويتظاهر بأنه يرسم القديسين ، هناك . مد يده ذات الأظافر الطويلة القذرة نحوك . وناولك اياها . ظل يتأملك مليا ثم استدار ، يجرجر خطواته عائدا من حيث أتى .

قرأت القصيدة . كانت عن فتاة نحيفة ليست بحسناء ، لكن عينيها النجلاوين تقولان الكثير .

قبل أن يخرج من باب الكازينو الزجاجى ، استدار نحوك . تمتمت شفتاه الباهتتان بالكلمات ، وظل فى المكان الخاوى يتردد صداها .

ـ حذار . لا تصدق . بعد سنوات ستذكرنى .

ترى ، من أين جاء ، والى أين عاد ؟

●

لا تعجب لقصص مثل هذه التى سمعت . هنا الاغتصاب يحدث . ذلك الهمجى ذو الشعر الأشعث واللحية التى تستطيل على صدره الأشعر يفعل ذلك مرارا . وهو فى كل مرة يعرف ان الفتاة غير راغبة ، ورغم ذلك يعمد الى اصراره . هو لا يريد الاغتصاب حقا ، بل هى فكرة مهووسة تراوده دوما بأنها ترغب ذلك . وفى كل مرة يعتزل فى بيته الذى تحرسه كلاب الأرمنت . ويقول فى كل مرة اننى محظوظ ليس لى زوجة تنفنى على مثل هذه الزلات .

●

وضح الآن ، ماذا يجب أن أفعل . لا مفر . عمل كثير ، وتجاهل أكثر . على الأكتاف بالغد ، نحمل جميعا . ويلقى بنا فى أرض بها عشب .

●

أطلت النظر الى عينيك ، ولم أعرفك . ولا أنت عرفتنى عندما أصخت لصوتى السمع .

●

من أنت ؟ تاجر جوال ؟ سمسار ؟ مخبر سرى ؟ بطل مهزوم هارب من معركة ، وتلتمس مخبأ ؟ أم مجرد شاعر وأديب انت ؟ أم ماذا ؟ ما الذى جعلك تغادر قوقعتك الآمنة ، وتخرج الى التجوال فى تيه الرمال ؟ أهى

انشغالات شبقية ، تستر عصابا ، وتجعل الهدف الذى تنقاد اليه شيئا متسلطا ؟ ولا تلبث الخطوات الأولى التى كانت تتصف بالبراءة ان تكتسى بالعنف والقسوة ؟

●

تقلصت أصابعك على العنق ، ورحت تضغط .

●

قالت ، جاحظة العينين :

ـ حذار أن تخربوا مومیائی ، ففى هذا الجسد ، سأعود ، وأبعث .

حملت الجثمان المشتهى على كتفيك ، ورحت تجرى متخبطا ، باحثا آين تتوارى .

فى الأكفان توارت الطعنة . وبقع الدماء تجمدت .

ألقيت به . واستلقيت على عشب . ومن فوقكما يطل عليكما شجر .

استرددت أنفاسك . دققت اليها النظر ، وجدتها صارت عمود ملح أبيض ، على سرير آخضر ، تحجرت .

●

(همهمات)

أناس غير مكترثين بأنك عشت حياتك هنا . يملأون الأرصفة ، الآن . لا يعنيهم شىء من أحلامك الباكرة ، ولا مما دار آنذاك فى خلدك من أفكار . . .

●

تقلب فيمن حولك النظر . لم تجده مرة أخرى . ذلك الوجه الشاحب والنظرات الخفيضة . ما ضاع ضاع ، ولا وقت للحسرة على مافات . تومض بارقه ضوء – أهو من فنار بعيد يرشد السفن ؟ – ولا شيء مما تتلهف عليه في الليل يبين . كف بحثا اذن عن العينين المنطفئتين ، والوجه الحزين . في قاع الميناء يمحى سفين غارق ، تلو سفين .

●

النوافذ التي كانت تطل منها الحسان أضحت الآن مغلقة . لم يبق في الغرف منهن شيء ، ولا من الأب الجهم الذى كان يركب البحر شهورا ، فاذا عاد أوسع الأم ضربا بالحزام ، واحتجز البنات – على الأخص « كريمة » – في البيت ، يحظر عليهن الخروج من عمر الدار . في كل مرة ، يعدك ، ويقسم قبل السفر ان يبدأ حياة أفضل . ويزوجك ابنته عندما يعود . يمتح ذراعيه للسماء تأكيدا لما انتواه . لكنه ما كان بقادر ان يفي بوعده ، ولا صارت « كريمة » لك . كان على الدوام يقول « كيف تتحمل الصخور هذا العبء الثقيل، وقد تجمعت الأسماك الحديدية حولها ؟ » .

●

مررت بها . لم تعرك التفاتا . هل عرفتك ، وتجاهلتك ؟ أم إنها مشغولة البال بالآخر ، وما عادت تذكرك ؟ خمسة عشر عاما ، انقضت ، ومن على الصخور كثير من النقوش انمحت .

مريب أمرها • هذا كان على الدوام شأنها • كانت تتقن مكياج البراءة • كيف في هذا الحشد ، ستلحق بها ، وتتأكد من نواياها ؟ الأفضل أن تتواري ، فهذه الأفعى لا يؤمن شرها • ومادامت لم تلتفت اليك ، فهى تضمر لك الأذى ، ولا محالة • ستدور حولك ، ومن الخلف ، ستلدغك • حتى فى الأحلام تأتى اليك عدوانية مهددة • هل أحضرتها الى هنا ، معك ؟ لا أحد يعرف انك جئت الى هذه المدينة ، تنبش بين أطلالها عن تعويذة ، عن طلسم انت غير قادر على فض غوامضه • وما دمت قد جئت الى هذه المدينة التى أدور بين أسوارها باحثا عن خلاصى ، فلأمض فى أعقابها •

●

رحت مدفوعا بحتمية قدرية غير مفصح عنها ، تدور داخل ديكور تغير كثيرا عن الأربعينات • من حولك الميدان تداعت أبنيته ، وأضحت تعانى من النشع ، واضطراب المستوى • والساعة التى تتوسط الصينية توقفت عقاربها منذ أمد ، ثم يقودك طوافك فى النهاية ـ أكان ذلك قدريا بدوره ؟ ـ الى مرآة مصقولة فى مواجهة أحد المتاجر الكبيرة بشارع الاسكندرانى ، لتجد أمامك ، انت يا من بدأت مسيرتك باحثا محققا ـ تجد القاتل • وجهك الشاحب وعيناك الحزينتان منطبعتان أمامك فى المرآة • ينظر القاتل اليك ، وتنظر اليه •

لا تقل ان الأمر كان وهما في ناظريك وكذبا • ذلك الذى فى المرآة يعرفك، مهما ادعيت انك لا تعرفه • امتلأ المكان بالهمسات ، والعيون المحملقة ، والأصابع المشيرة اليك • من أين آتى كل هؤلاء الموتى؟ انه سيعاود ارتكاب جريمته • سيبدأ بأن يقتل ثم يموت من جديد •

●

جاثية عند قدمى ، تريني بين راحتيها السمراوين نهديها النحيلين اللذين طالما اشتهيتهما • وتستعطفنى بابنى الذى أرضعته من لبنها •

تراجعت • استدرت • وأطلقت لساقيك العنان •

(موسيقى هائجة ، مندفعة كريح لا تلبث آن تهمد).

●

مصادفة التقى بك • آخذك بين ذراعيه ، وقال لدى العزاء • تعال •

صعدتما السلم فى البيت المهجور • الدرجات الخشبية تئن تحت وقع قدميكما •

فتح الباب • ثم أغلقه • صرتما وحدكما • لم تتبين معالم المكان فى العتمة ، ولكن بأعماقك كنت تبصر كل شيء •

أضاء ضوءا خافتا، ضوء شمعة . قال : الأفضل أن نبقى الخصاص مغلقة . من يدرى أى عدوان جديد من ناحية البحر قد يفد الينا .

ركع على الأرض . أدار الحاكى القديم . « سوناتا ضوء القمر » أصوات خفية حبيبة ، أصوات من قصائد حياتنا الأولى . وجه باسم . اثنان على دراجة . أولاد يمرحون . يطاردون الضفادع . أكنت واحدا من هؤلاء الأولاد ؟

ـ كل عيشا ، واسكت .

أشعر أحيانا اننى على وشك أن أكتشف أشياء . ثم فجأة يظلم الوجود من حولى .

ـ انت واهم ، كشأنك دائما .

قبلت السكين ، وطوحت به الى البحر .

ثم جاءت ريح كورساكوف عدوانية ، محطمة . أتشبث بقطة من الخشب . تلطمنى الأمواج، وتدفعنى . وعند الفجر أصحو على رمال جزيرة لا أعرفها .

ـ استيقظ ، يا سندباد . بعد قليل سيأتى صاحب البيت ، وقد يضبطنا متلبسين ، نعبث بأشيائه .

أطفأ الشمعة . والى الباب اقتادنى . وعند أسفل

العمارة الخربة ، فى الظلام ، تركنى • وددت فحسب أن أسألك أين أختك ؟

من الأطلال المحوطة ، جاءتنى الاجابة •

ما أشهى الدم المسفوح من قلب خائنة •

●

.. لا تتوقف عند أسواق المنشية • فلن تحصل من هناك على بضائع جيدة • المعروضات كلها من خيوط العنكبوت منسوجة •

●

هل كنت بريئا حقا ؟ وما معنى البراءة فى هذا التيه الذى اختلطت فيه سراديب البراءة بسراديب القسوة والضراوة ؟ يجرى فيها الاغتصاب كل يوم ، وتنتهك الأعراض والكرامة كل ليلة ، تحت أضواء الثريات والزينات المعلقة على الأبواب ، وفى الشوادر ذات الألوان الفجة •

ثم فجأة على الشطئان الساجية تنسى ظلمات القاع ، وعنف الموجة •

●

أسير عبر حديقة الشلالات على الأرض المكسوة بالعشب ، الذى تناثر عليه أزواج العشاق مثل فراشات متخمة • أخذ يطن حول رأسى المبللة بالعرق سرب من

الذباب . أصده عني بحـركات هوجاء متخبطة شرسـة تشبه حركات من يغوص في اليم محاولاً أن يبعد عنـه ما علق بجسمه من طحالب .

عند كل ركن من أركان الشوارع تتجمع المدينة ، وتحتشد ، وتعاود لغزها من جديد .

●

اصرارك وحـده هـو الذى يدعـوك أن تمضى مجتازا هذه المتاهة ، بكل المنعطفات والطرق الضـيقة الثعبانية .

ألم تدرك بعد أن المدينة لفظتك منذ زمن بعيد ؟

(خطوات)

●

ودعها . ودعها . انها فى البحر تغـوص ، ومن أمامك تنمحى . صفير بعيد يتعالى من سفين على أهبـة الرحيل . وفى أعماق الذكرى تستقر حطاما .

●

لا شيء في قرارة عقلى . ولا حتى ذكرى المدينـة التى كانت لى ذات يـوم ، لى أنا وحـدى . أو هـكذا أوهمتنى .

●

كف عن البكاء ، فالعشاق الموتى يتكاثرون ، وهى ولا حتى عليك تبكى . ماذا كنت تتوقع ؟ ان تمنحك الاسكندرية سكينة وعزاء ؟ لقد منحتك قلقا وتحفزا وروح المبادرة . وليس لديها أن تعطيك آكثر من ذلك .

●

هيا ، قل لى . هل تفضل القطار من سيدى جابر ، أم من محطة الرمل السهم الذهبى ؟

(موسيقى شجنية)

●

وارحل من هنا بأسرع ما تستطيع . ولا تعد . احتفظ بالصور القديمة فى خاطرك ، طيبة على الدوام . ولابد أنك أدركت الآن ، ان كل ما كان لم يكن سوى لوعة دفينة ، خيالات ، وصبوات وهمية .

●

نجم برتقالى صغير ، يلمع فى الليل من بعيد ، ويضىء .

ها هى اذن النبوءة التى جئت تسمعها .

هذه ليست مدينتك . مدينتك هناك، فى الذكريات تغوص معك .

أما هذه فلن تكون آبدا ، آبدا ، لك .

الآن ، أريد شيئا واحدا . ان اترك وشأنى .

(بتوسل) أن أخلد الى نفسى .

(صفير قطار يبتعد)

زهـرة فى اناء

انه هنـاك • تقيمه امرأته وتجلسـه • تطعمه • تغسله • وتضعه فى الفراش كى ينـام ، ان تركت له أوجاعه لحظة كى يغفو • أما هى ، فعجبا ، متى كانت تنام ، وتصحو ؟ بعينيها الواسعتين اللتين لا تطرفان ، كانت لا تنام • الجميع يحسدونه على هـذه المرأة ذات القامة النحيلة ، والثديين مثل ليمونتين ، رغـم انهـا أنجبت ابنا ، ابنـا وحيـدا بقيصرية ، أصـبح الآن دبلوماسيا •

الشعر الكستنائى وخطه المشيب ، ولكن فى اتساق لم يفسد منظره على الجبين الذى يعلوه ، مثل تاج موحد القطرين •

والجيد أبيض سامق •

كلا ، انك لا تضايقنا •

هو على الدوام هنا • لست بحاجة مرة أخرى ، اذا جئت أن تخطـرنا تليفونيـا • سـتجده عـلى الدوام بانتظارك هنا •

أريد بدورى قدحا من القهوة ٠

ورحنا نغمس فى القدحين قطع البسكويت الذى صنعته ربة البيت المدبرة بيديها، ونفثت فيه من روحها٠ الأكل نفس ٠ أجل ، هذا حق ٠ هو نفس ٠

يسعل ، ونتحدث ٠ عن « البوهيمية النائمة » تحدثنا طويلا وعن الأسد الذى يتشممها ٠ نظرت صاحبه الجيد السامق الى متشككة ، وهى تستمع الى حكايتها ، وما كانت تتصور أن الانسان إذا ما تجرد من الأهواء والأطماع والنزوات ، بل ومن الآمال أيضا ، أضحى حرا لا يخشى شيئا ٠ يفترش الأرض ، وينام ملء جفنيه وقد ألقى من على كاهليه بحمله ٠ هى لا تنام ، وجفونها المحترقة لا تطرف ٠

سعل الرجل ، وسعل ٠ استأذنت المرأة ، وقادته من ذراعه الأخرى غير المشلولة الى مخدعه ٠

●

باكر ، سآخذ زهرا ، أذهب أنثره على سريرها ٠ لم أنبس بكلمة ٠ وبداخلى قلت انها ما كانت تعرف ، ولا تريد منك زهرا ٠

●

ماذا بقى من الوجه ؟ غارت الوجنتان ، تصخر الجبين ٠ ارتسمت التجاعيد بالطول وبالعرض ، واستطالت الذقن مدببة الى أسفل ،مثل سكين ٠ أضحت الحدقتان واسعتين ، تتجاوبان مع انفراجة الفم فى

شبه ابتسامة حسية شوهاء . ولا أسنان . تجويف مظلم .
أهذا هو الوجه ؟

●

أدركت الأمر كله الآن . عرفت . أريدك أن ترحل
حالا . لا أريد رؤياك . حيثما شئت . لا يعنينى من
الأمر شيئا ، بعد الآن .

●

علـى كتفيها بلوفر أزرق . تقف أمامى . قالت
عانقنى . قلت انى أرحل . قالت تعـرف كم أحبـك
قلت انى أرحل . قالت معى مفتاح . دست يدها بين
نهديها . أظن انه هنا . سـقط من بين أصـابعها .
انحنت . ها هو . ألحت . افتح ، سـوف نقضى الليلة
هنا ، الليلة فحسب ، ثم ترحل . الى حيث شئت ، ارحل .
لا أحد هنا . أنا وانت فحسب .

اختلس من النافذة النظرات الى بعيد . شبح برداء
أبيض يهيم فى الأرجاء . المصباح مضاء . هل أجلس ؟

ألا يمكنك أن تكون سعيدا هنا ؟ معى ؟ بامكانى
أن أتغير . أستطيع أن أكـون ما تريد . سـاعدنى .
ما عدت أعرف . دموعى بداخلى تحرق .

كل شىء يمضى . يتضاءل . انزل الدرجات .

●

املأ العينين بشبحها الذى يبتعد . طيفها النورانى
يذوى . زهرتها فى الاناء الفخـارى تذبل . كبرياء

جرحت . دموع تذرف . كلب ينبح . أمطار تهطل .
أصعد الدرجات . أجرى الى الداخل .

●

ماذا بك ؟ لا شيء . الأفضل أن أشعل بعض الضوء
وقع الضوء على وجهها . ان لك وجها وسيما . ابتسمت .
أدارت ظهرها . تسأله من الذى أعطاه الحق ، من الذى
أدخل فى عقله انها الى هذا الحد سهلة . لماذا لا تفضين
الشريط عن شعرك ؟ انت أيضا ، لا تلمسنى . أردت
أن اتحدث اليك . لست الآن على استعداد للحديث .
الربيع هذا العام ، قد يتأخر . عم تريد أن نتحدث
رغبت أن أعرف أشياء . سيمتد بنا الوقت ، ولا أريد
أن أحتجزك طويلا . ولكن ، كلا . لا تكمل . اخرج .

●

انفتحت الكوة ، لم يبد فى الأغوار سوى فراغ
الضوء .

نزلت الدرجات . اجتزت الغرفة تلو الغرفة .
باب صدىء يفتح على غرفة علا موجوداتها التراب .
الطيور على غطاء الأريكة ، لازالت هناك . تبزغ رؤوسها
البيضاء من تحت الرماد ، ولا تصدر أصوات . عطر
يضوع كموسيقى خفيضة من أوتار كمان . ربما كان
الربيع قد عاد . مد يدك . لن تلمس أناملك شيئا .
و « البوهيمية النائمة » لازالت الى الجدار مسندة ،
بجوار الباب . الباب ذو المقبض النحاسى الصدىء
يفتح . يئن الصرير فى الأرجاء شاكيا فرحا . يئن

الصرير برهة ، تمتد فى آذنيك دهرا • ثمة مسافة على الدوام • ولا يلبث الصرير أن يبتلعه صمت الآشياء
أغلب الأبواب خداعة ، تلقى بك الى دهاليز تلقى فيها الخراب • النوم يطبق على الأجفان • الأخضر الرمادى يمتد • الخدر يسرى فى الأوصال ، وبين اغفاءة ويقظة تعانق العين ندف الألوان • تنفخ فيهـا ريح خفيفة • تعلو قليلا • تختلط وتتخبط • تتراقص متهـادية الى ذاكرة مثخنة بخربشات بيضاء •

راس صبية

الأفضل أن تكون قد رحلت الآن ، لن تتعذب الصغيره كثيرا . لن ترهق نفسها كى تنساك ، فلازالت ذاكرتها رخوة ، تنطمس من عليها المعالم والذكريات سريعا - ثم تستوى المخيلة ماضية الى مستقبل الأيام ، أما اذا حدث الفراق فيما بعد ، فربما بكت بحرقة اذ تفقدك ، وربما تغشتها سحائب حزن قواتم ، لو حدث أن خطرت ببالها ، فتذكرت ما كنت تتدللها به ، وتجلب الفرحة الى قلبها الصغير الذى كان ينبض مثل خفقات عصفور متى شددت عليها حضنك فى عناق حب ، وأمطرتها بالقبلات فى عنقها وبطنها وفخذيها وشعرها ، والضحكة تنطلق من شفتيها، من وراء السنتين النابتتين فى اللثة الوردية، حديثا . أراك تفكر وتغتم . ليس هنا محل للتفكير والاغتمام . انى آلفت نظرك فحسب ، والأفضل لك أن تنضم الينا ، وتعير الأمور كلها عدم الاكتراث الذى نوليها نحن . دعك من أفاعيل الحداثة هذه .. فما عدت

مستجدا بيننا ٠

●

سوف تشير باصبعها الذى فى حجم دودة الى الباب الذى كنت تدخل منه وتقول «بابا» أو تميل على ذراع من يحملها ، وتطل من الشباك الذى كانت تراك فى الطريق مقبلا منه ٠ ثم رويدا رويدا ، وسريعا سريعا ، لن يبقى منطبعا منك فى ذاكرتها شىء ٠ وستمضى الحياة بدونك ، كما لو لم تكن قد وجدت أصلا ، بل ستألف زوج أمها الجديد وتناديه كما كانت تناديك بابا ، ولعلها أحبته وتعلقت به أكثر منك ، فقد كنت شخصا جهما دائب الصياح فيمن حولك، مستفزا على الدوام بطقوس الحماقة التى تؤدى فى محراب كل يوم ٠ لا تتنهد ٠ ولا تدع دمعة تطفر من عينيك ٠٠ لا تكن رقيقا هشا ، فما هكذا تريدك الحياة ٠ ولا تستحق منك ذلك وددت ــ على ما سمعت ــ أن تكون خالدا ، ولكن حتى الخلود بحاجة الى التجدد ، وهى ــ الحياة أعنى ــ لهذا تعرف تغيير الجلد ، ونفض الأوراق عن الأغصان ، وكل طقوس الفناء من أجل العود الأبدى ٠

●

هى وحدها كانت تعرف ٠ قالت من بعدى ستتعب كثيرا ٠ كانت تعرف مبلغ حماقتى ، وقلة حيلتى ٠ هل كانت حقا بالغيب تدرى ؟ فى هذه الخصوصية أجل ؛

بالخبرة تستطيع أن تعرف ٠

●

تزحف فوق السيقان النائمة ٠ تتلمس اللحم اللدن الدافىء ، تمتص منه الدم ٩
فى سكون تزحف ٠ تمضى الى ظلمة الليل خارجة ٠

●

كل الغرف تفتح على بعضها ٠ القط العجوز يجتاز العتبات الى الشرفة ٠ يقفز على افريزها ٠ وينظر الى بعيد بعينين لا تريان النيل الممتد عرضا ، ومن بعده تلال ، وربما شذرات من صحراء ٠ تذكر وجع مفاصلك المزمن ٠ تقول لنفسك كل شىء بحاجة الى تزييت ٠ دعك من تهكميتك الآن ٠ لا تقلب النظر الأن فى كل ماحولك ٠ فكل ما من حولك ـ صدقنى ـ خواء ٠ لا تنشغل بتفاصيل الزهر المرسوم على البساط ٠ توافق فحسب مع بصيص الضوء المتسلل من خصائص النافذة دون أن يترك بصمات ٠ يقع على الأرض ٠ يزحف نحوك ، دون أن يترك على الأرض المتربة آثار أقدام ٠ يتلفت حوله ٠ يستطيع ٠ يستقصى ٠ هل يبحث عنك ؟ تسأل نفسك من أين يفد هذا الضوء ؟ من الروضة ؟ من المنيب ؟ من المعادى ؟ أم تراه من مصر القديمة جاء ؟ لا تسأل ٠ تشبث به فحسب ٠ لم يعد للأسئلة اجابات ٠ ولا لأى ملم صولة هنا أو حيثيات ٠ اقنع بما منحت ٠ لقد وجدت لنظرتك المرتعشة مرساة ٠ ها هو الضوء

هنـاك ، ذرات من جرانيت وردي • يمضي مبتعـدا ، زاحفا على الجدران ، وعلى الأرض ، وعلى البساط • انه ابتعد الآن كثيرا • فهل ستلحق به ؟ امتـدت الظـلال الآن •

●

لازالت هنـا • كانت هنا • تنضـح فى ابتـذال بالحب السامى • ومن مقلتها تفجرت ينابيع الحنـان الباردة •

●

أحببت تمثالا • أردت الى الصحراء أن أهرب به • عندما اختليت به تقززت كثيرا • اكتشفت انه مقطوع الساقين ، منفر الرائحـة • وفى النهـاية ، لو كانت المومياء وفية ، لما مضيت أتمرغ عند قدميها ، وقد تكسر قلبى ، متوسلا أن تبقى •

ترتاد البوادى الآن ، والهضاب الحجرية ، شاحبة ، متهرئة المظهر ، مثل التماثيل ، مليئة بالحيوية •

●

ما هذا الذى تدحرج قريبا منا ؟ رأس الصبية • أين ذهبت ، الآن ؟ لا جدوى من البحث عنها • ذهبت الى حيث ذهبت سـائر الرؤوس التى انفصلت عن الرقاب من قبل •

●

استيقظ ، أقول لك ــ لا تجعلنى أجار بالصـياح مثل الاحياء • لا حاجة بك هنا الى تعاطى الأقراص • لا تجعلنى أرحل وأتركك •

الفراشـــة

(ضوء نهارى باهر)

اليوم رأيت نفسى . كنت أمثل دورا . كنت سمجا، محبوبا، أتقصع، وألقى نكاتا تضحك ــ تصور تضحكــ سمعت نفسى أنكت . بكيت . ما الذى كان يجعلنى على مثل هذا السخف المرغوب أقدم ؟ حيــاتك هــذه ، هل تريدها ؟ تريد أن تعود من جديد تمثلها ؟ كلا ، كلا ، لا أريدها . لا أريدها . ذاك السعار بداخلى ، انطفأ ، وما عدت أريدها . شفيت من ادمانها . شفيت .

(موسيقى جاز تعلو وتخفت)

يفتح كتالوجا ، يقرأ فيه بامعان ، يمد أنامله . يدير أزرارا ، ويثبت أسلاكا . ترتفع من الصندوق الاسود أصوات متقطعة وخربشات . تنخفض . يتدفق سيل من الموسيقى العذبة ، لا يلبث أن يتقطع ثم يندثر . يعاود النظر الى الكتالوج . تدير أنامله أزرارا . وأنا ألزم مكانى . عزلتى ألوذ بها دوما . لا يغرينى شىء أن

أفهم هذه الأجهزة الحديثة ، ولا أن أتعامل معها. سمونى بالرجعى ، بالسلبى ، بالبليد اللامنتمى ، وغير ذلك من التسميات ، لكنى ما كنت بشىء من هذا القبيل أكترث .

(تبتعد الموسيقى) .

ألهذا أعرضوا عنى ؟ وتركونى أغوص فى حمأتى؟

(تنهيدة)

أحيانا ، أقص على أولادى حادثة وقعت لى . فاذا سألونى متى حدث ذلك ، يا بابا ؟ آفاجا بأننى انما أتحدث عن أمور حدثت منذ سنين عديدة مضت ، بينما أكون تحت تأثير أنها بالأمس القريب فحسب قد وقعت.

(يخفت الضوء وئيدا) .

(صوت يفد من بعيد . جهما) .

منذ أمد بعيد ، لم تعد سوى جسد منهك ، ممروض تجرجره بصعوبة لاهثا ، عبر رحلة معاناة تتوق فيها أن تحقق حياة أفضل ، وأنت تعرف مبلغ استحالة ذلك بالنسبة لك ، فصرت تخدع نفسك بأمل كاذب . كنت على الدوام تواجه ماضيك ، ولا تقوى على الهرب منه ، الى أن مات الجسد المسكين بعد لأى ، وغاب فى الوحل كل ماض وحاضر ومستقبل .

أنا الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

(برهة صمت) .

في هذا المكان الذى حللت به تروح ، وتغدو ، باحثا عن بوابات الرمال • تعتقد أنه ليس خاتمة المطاف ، وبالقطع ليس هو كذلك • في هذه الغرفة الكبيرة ، التى ليس لها سقف ولا حوائط ، تتخبط باحثا عن البوابات، ولكن في هذا المكان الذى يبدو لك أن أيامك فيه ثقال زخمة ، لا توجد أبواب أو منافذ ، وكيف توجد وليس ثمة جدران ولا أسوار ؟ أو ربما هناك جدران وأسوار ، ولست بقادر أن تعثر عليها • فى هذا المكان الذى تقضى فيه أيامك ولياليك البواقى ، تتخبط وتلهث ، وتتوتر ، وتحس بالاحباط فى النهاية •

(يضحى الصوت معزيا)

كنت على الدوام مفعما بالاشمئزاز والندم ، تحاول أن تكسر واقع حياة مؤلم بلمسة الشاعر الذى تمنيت أن تكونه فى صباك ، وتقول لكل من حولك ، وهم يلحظون رجفة يدك ، وعدم قدرتك على امساك القلم والكتابة ــ تقول « اذا سماؤك يوما تحجبت بالغيوم ، أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم »

(موسيقى متفائلة شجية)

على الدوام تفكير بالتمنى •

(ضوء مصباح يجول فى العتمة • ثم يستقر الضوء على ما يمكن أن يوحى بانه منضدة للكتابة) •

قلم وورقة • لابرء من ادمانى • الكلمات تنهشنى •

أريد أن أحيل دموعي كلمات ، دمي كلمات ،زفراتي ، صياحي ، ألمي ، ذعري ، احبـاطي ، قلقي كلمـات · كلمات ، كلمات ، أنثرها حولي · أنام عليها · مثل فقير هندي · لا شفاء من ألمي · أحمله معي ، أينما ذهبت ، حتى هنا جلبته · عنه لا أستغني ، ومن غـيره لا يكون حتى لعدم وجـودي معنى · هـل من يسمعني ؟ وددت ألا يكون هناك أحد ·

تتردد كلماتي في هذا الخلاء ، وسرعان ما تتبدد ، مثلما تبددت حيوات وحيوات من قبل ·

(يضحي الضوء حانيا ملونا ــ والصـوت يصبح قريبا)

لا أريد سوى المسالمة · في هدوء ، أريد أن يمضي ما بقي من أيام حتى تثقب الشرنقة ، وتخرج الفراشة · تفتح جناحيها وتطير ، تحط على راحة يدي · أقربها من أرنبة أنفي ، كي أمعن فيها النظر ، وأتعرف عليها · من هي ؟

(موسيقى الجاز تصطخب برهة · ثم تسكت)

سوف أرفعها على اصبعي عاليا ، وأقول لها طيري ، طيري بعيدا · اجتـازي المحيط ، واذهبي الى ربيكا · انها بانتظارك ·

(صـوت طائر ينطلق من الأسر فرحا · ويعـود الضوء فيصبح نهاريا باهرا ، على خلفية من سماء ناصعة الزرقة) ·

سماوات خفيضة

مهما كان الأمر ، تأمل جماليات المكان . جماليات ضاربة بكر مشعة ، مثل تلك التى كنت تستمتع بها فى أيامك القديمة ، عندما كنت تستيقظ فى الفجر ، وتتأهب فى الشرفة لاستقبال هيليوس يجىء من ناحية الملاحة يرقى عتبات السلم اللازوردى . يخضب بالألوان الوردية ما يصادفه فى طريقه من حوريات السحب ، ويصيخ السمع الى هدير البحر أو نشيش الموج الوافد من حيث قبر الميت الأكبر ، الذى طارد بسيفه جحافل الظلام الفارسية ، جالبا معه من معبد آمون سنابل القمح الشقراء ينثرها من حوله أينما حل ، ويسقط منها اليك فى الشرفة زاد يومك . ثم على صهوة جواده الأشهب يمضى صاعدا متبددا من أمامك فى غلالة من الضباب الأثيرى . ويخلفك لهموم يومك . فتترك على مكتبك « الملاح التائه » و « الكنز الذهبى » . وتركب القطار لتسأل عن أوراقك ، وتعود فى المساء لتكون « سين » بالشرفة فى استقبالك .

●

هنا ، فى حضن الجبل ، العناق قاس ، فلا تزد من احساسك بقسوته . دع نفسك مثل شجرة الحقل الحكيمة ،

ينحني جذعها وتنثني أغصانها عندما تهب الريح ، والا تكسرت • تلك تجربة لن تستطيع آن تضع لها نهاية ، ولن تعود اليها • دعك اذن من ذلك الحنين القاتل • انزعه من احشائك ، وأعلم آن الزمان ، لا يعود • بالليل ، فى أعماق نومك، سينهمر ذاك الزمان كثبانا وآتربة ، وعلى هيئة شتى التماثيل آمام ناظريك سيتشكل •

●

مهلك • مهلك ، الم آقل لك آن هذا المكان سـوف يتبدل ، ويتشكل ؟ انظر • من تلك التى تنزل بالليالى من قمة الجبل ، فى ثوبها قاتم السواد ؟ يومىء شبحها الى ماحوله ويترنم • شفتاها ، الا ترى فى الظلمة ، كيف يلمعان بكل مافي شمس الزمان من ضـياء ؟ وجدائل شعرها الاشقر المنسكب على صدرها تضيء مثلما الذهب الاصفر ، وفي محجريها الخاويين مافي اعماق البحر من ظلمة براقة ؟ لاتسألنى ، من تلك التى تنزل من قمـة الجبل فى ثوبها ناصع البياض • هنا كل شيء يتبدل ، وينشكل ، تحت مظهره السـكونى الخادع • تأكد من ذلك • راقب ، وتحقق بنفسك • هنا ، فقط أمسـك لسانك • الأفضل الا ننطق بحرف واحد • وبعد ذلك تابع ما يحدث من حولك ، وشارك ان شئت ، وسـوف تستمتع • فقط أطرد عن نفسك الاحساس بالغربة ، وأنتم الينا •

●

اسمع ! اسمع ! ها هى التحولات قد بدأت . الأستار رفعت . انظر الآن الأنجم فى السماء كيف لمعت وأضاءت . انها ولا شك ، قادمة .

استمتع . راقب الشتاء يقاوم الصيف ، فينشأ من صراعهما ربيع حلو ، لا هو بقارس البرد مثل الشتاء العجوز ، ولا هو ملتهب النسمات مثل الصيف القادم فى اندفاع . ثم تأمل بعد ذلك كيف يتسلل الشتاء غازيا الصيف فينشأ من صدامهما خريف ، ثم شتاء ثم ربيع ثم صيف وخريف من جديد .

●

راقب وتأمل . هذه هى المتع الحقيقية التى كنت محروما منها . راقب الليل يبسط عباءته على المسكونة ، وينثر أزاهيره الماسية فى حجر السماء ، ثم راقب حمرة الشفق ، عندما تعود الشمس فى مركبتها الوضيئة من رحلتها الأبدية فى العالم السفلى . راقب وراقب ما لم يكن يتاح لك مشاهدته فى الصالونات وغرف النوم وقاعات المحاضرات والمكاتب .

●

أنظر الألوان المشعة على الشفاة والجفون المنطفئة . ثم دعك من هذا كله . دعك من الفناء ، وراقب المقاييس والنسب ، والفضاء ، وما وراء الكل . هذه النسب المثلى اخفقنا فى اكتشافها من قبل فى جسم الانسان

والحيوان ، والنبات ، واحياء الماء ، والبحيرة المقدسة بالكرنك • سرنا في طريق الكباش ، وتعثرنا • وسن كنا لم نكتشف « القطاع الذهبي » في سالف أيامنا ، فقد اكتشفنا الان ما هو أهم وأبقى • ويالها من مكافأة وتعويض لنا • اكتشفنا « قانون التراب » • كثيرون كانوا يسخرون منا • ولكن هذه الثروة الروحانية والهندسية • آنى لهم بها • اشكال عملاقة متحركة كالأمواج الطنانة ، تشع في دوائرها الذهبية • • مثلثات ومربعات في نظام غنائي خفي داخل بناء ملتحم سليم • اتسمع « اللحن الموفق » اذن ؟ هو في كل ما حولنا • هو قانون للحياة وللمادة ، لمسات تلتقي الواحدة بالأخرى ، زاهية وقاتمة ملتحمة • ما الذي جاء بذلك الغامض ـ آبو نوفر ـ الى المعبد : ما الذي يبحث عنه فيما هو مكتوب على أعمدته ؟ لماذا لم يأت الينا يسألنا ، ولسوف كنا نجيبه بما لن تجيبه الأعمدة ، ونطلعه بما في جوف الكون ذاته ؟ وهج يخبو ، وينطفيء ، ثم يعود الى الاشتعال والتأجج • ليس للانسان حدود • وما من انسان أدرك الكمال • لعلك الآن أكثر ادراكا للنسق الايقاعي لديارنا هذه • لكل منا ظلامه الخاص • انت مثلا ظلام في الظهيرة ، وربما أفضلنا هنا غسق ممتد ، أو ضحى •

●

عالم من الحجارة الرمادية والبنية • الأطلال

الدكناء تنتظم فى الساحة بهندسية خفية • تطل عليك، ثم لا تلبث ان تبادر الى الاختفاء • هى قصيدة تمزقت أجزاؤها وتبدد منها البعض ، ولــكن لازالت القصيدة هناك • اضاءة خافتة ، وفراغات • آكاد آجزم بذلك ، هنــاك عمليــة مدبرة لتحقيق التــوازن بين الحــركة والسكون ، ورغم التخلى عن كل شىء ، يبقى الكثير •

لا تفزع من الفراغ ، وعلى آى حال فكل شبر هنا ملىء ، ولــكن ليس بالزخارف • الحيز ممتلىء ، الى حد الزخم، وانت محاصر • هربت من حصار ، آيها المملوك الشارد ، الى حصار أشد وطآة •

●

هنــا التماثيل فى حالة من الطمأنينة والتسليم . ولا يسهل عليك التمييز فى قسماتها المتآكلة ، وتحت جفونها المطبقة ، بين الخشوع والجزع • آنظر ، ستجد هنا الحقيقة واضحة • الرســام رســم ، وقضى الأمر • وصاحب الرســم انمحى ، واندثر ، وبقيت تصــاوير النبات والحيوان والشجر ، والنجوم والأنهار والقمر • نقاط وخطوط ودوائر ، كالحشرات تســعى ، وتزحف من حولك •

ستعثر فيما حولك على بعض الاقراط والقلائد • وستقضى وقتا طيبا فى التنقيب بحثا عنها واقتنائهــا • هذه طريقتنا هنا لقتل الوقت ، فليس مسموحا لنا لعب

الكرة ، ونمل مؤكدا لعب الشطرنج والسيجة ، أما الثرثرة فهى ايضا ليست ممكنة · لسانك منطقهالكذب، لهذا فهو اول ما انمحى ·

يطلبون منا اتقان الحيل ، والتمكن من الأساليب ، وضبط النسب ، لا سيما حيث يقع النور على الماء ·

غض بصرك متجاوزا المحيط المصطخب · حاول أن تنجو من زخم واقعك ، فتصل الى شطئان الخيال والهوى ·

●

على هذا الارتفاع الشاهق لا يمكن أن يصعد الى عصفور · هنا لا أرى سوى أثير ، وسماوات ، وأشعة شمس تنزل من وراء السحب ، كما كانت تنزل فى القديم الغابر ، فتغسل بضيائها الاهرامات ، وظلمه تجثم على الكيان مثل عسل اسود فى طبق غويط · وددت أن أستمع الى شقشقة عصفور ، أو رفرفة جناحين ، أو دقة منقاز على زجاج نافذة أو وقع مخالب صغيرة ـ أقول صغيرة ـ على بلاط فناء · وددت أن أجد دفئا انسانيا نابعا من مثل هذه الأشياء الصغيرة الحبيبة الأليفة · ما عدت أرتاح الى عصف الريح فى حضن الجبل ، يسف التراب ، وينقل ذرات الرمال · يضرب بها وجه الخلاء فيمتلىء كيانى بالصفير والضحكات الملتاثة والعويل سئمت معنويات ومثاليات · شبعت ريحا أجوف ·

●

الذهب على الاطلال تلألأ ، والدانتيلا على الاديم
زهت . بعد قليل سينبسط الابانوس . النمل يشيع
جنازا . من عمر مكرم تحرك ، يحمل نعشا .

●

تأمل فيما حولك . تأمل واغرق ، حتى تتخفف من
الشحوم والدهون ، ويصحو فيك من الحس والضمير
ما تبلد . ستصفو أذناك ، وتضحيان للسمع ـ ومن له
أذنان للسمع سيسمع ـ ويتسع محجراك ، وينظران
بعيدا الى أغوار الأغوار . سوف تقول يوما هذه كانت
أفضل أيامى . ليتها ما انقضت ، أوليتها عادت .

بوابات الرمال

سنوات وسنوات ، لم يكن مسموحا أن أزيح القناع . أتحدث الى الوجه دون أن أعرف القسمات . أصغى الى الصوت ولا أرى الشفاة التى تنبس ردا على بالكلمات . حوار من وراء قناع ، أنا نفسى لبست القناع وهكذا قناع يتحدث الى قناع . قناع يقبل قناع . أقنعة كلنا فى كرنفال .

●

أحببتك . فليكن . لكن أحببتك فعل ماض ، وصيغة المضارع لا توجد . كل عاطفة شحت ، وكل بئر نضبت . أتريدين أن تعرفى من أنت ؟ أنظرى الى الشرفة وفى أركان البيت ، حيث نثرت اصص الزرع . كل الأغصان جفت ، وتساقطت أوراقها ، وظلت فى الظل ، عيدان عجفاء ، تبعث فى النفس الكآبة .

●

تولول شاكية :

ـ دائما ، دائما ، مظلومة .

أستاذة فى الافتراس ، ولكن ليس الى حد الشبع .

ـ أنا على الدوام مريضة . أعانى بسببك الأرق .

تجلب النحس والنكد لمن حولها ، فاذا حدثت الكوارث تلقى أعباءها على غيرها، وتندب حظها العاثر، وأنها لم تحصل على ما حصلت عليه زميلات أخريات كن أقل جمالا منها ٠

ـ ليتك تحبنى كما أحبك ٠

نظرت اليها مستوضحا :

ـ أن تشعر بوجودى ٠

مضيت أنظر اليها ٠ أردفت قائلة :

ـ دون أن أنبس بكلمة ٠

هى عقاب لمن اقترف ذنبا ، بل ولمن لم يقترف ٠ هى تجربة عذاب من أجل خلاص لا يبدو قريبا على أى حال ، ولا حتى آتيا ٠

ولولت :

ـ أتلومنى لأنى أغار عليك ؟ أنا مجنونة !

●

ماض صعب التحديد وغير مؤكد ، يربط بينى وبينك ٠ كل شىء بين اللا والنعم ، على حافة الندم يتأرجح ٠ صوت داخلى مبهم يجزم بأن ذلك الماضى مؤكد ٠

أعيش مع دمية من الرخام باردة ٠ عرتها الرياح ، وكانت فى الأعماق مطمورة ٠ خصلة شعر ، أصابع

نحيلة ، شفتان وابتسامة ، وعينان ــ على الأخص عينان ــ واسعتان ، شاخصتان على الدوام • وعلى الخدين لؤلؤة •

لؤلؤة •

أتحسس بقايا حبيبتى • أستشعر دفئا • جسدها المشتهى خيال ، نبع ألمى • حبها لا يعرفه من قبل غيرى •

●

الريح تجوس خارجة داخلة من بوابات الرمال أمامى • فى مكان ما قصى ، عند شاطىء العجمى ، فى مواجهة سماء لازوردية ، سحابة مثل حجر كبير من أحجار الخفاف ترفرف فوقنا •

●

لا جدوى للشكوى من أمور حدثت أو أزمان انقضت • فلنبق اذن فى الحاضر، الفالت من أصابعنا ، مثلما حبات الرمل الناعم ، وان كان هو كل ما لنا •

ــ هل تشاطرنى قدحا من القهوة ؟

ــ أشربها من غير سكر •

ــ مرة ؟

ــ المرارة تناسبنى •

ــ أنت بالألفاظ تلهو •

أطللت من النافذة • فى الأغوار ، البحيرات جفت مياهها •

ــ هى طعم حياتى •

ـ لعبك بالألفاظ لا ينتهى ·

بوارق الجنون والجريمة تتربص بنا ·

أغلقت خصائص النافذة · أضحينا وحيدين فى العتمة · لمع الأحمر القانى على الأظافر · تحرك أصابعك · تقلصها فى تشنج · تنهشك رغبة دنيئة مكبوحة · بصوت مبحوح تقول :

ـ أفعال أريد ، وليس كلمات ·

أندلق الأحمر من زجاجة الطلاء ·

ـ لكنى فى الحقيقة لا ألهو ·

سال ، وخضب عنقها وصدرها ويدى ·

خيمت على المخدع برهة صمت ·

أخرجت علبة المكياج من الدرج · وسكبت فى كل الأرجاء قنينة الكحل ·

أغلقت الباب خلفى ، وخرجت ·

●

انتهى ، ما عاد لك معين يأخذ بيدك مثل الأعمى ويقودك عبر الدروب ، وانت مطمئن اليه · انتهى لم يعد للسكينة وجود · عليك ، اذن ، أن تسترجع المعاناة منذ البداية · ادفع الحساب ، وانهض خارجا من ذلك المقهى الزخم · سر فى المتاهات الوعرة · سلبيتك التى كانت من قبل دعة وكسلا، راحة مزعومة، سحب بساطها من تحت قدميك · حذار ، لم يعد لك

سوى أن تتحرك على أرض زلقـة · أفق اذن · امـلا رئتيك بالهـواء ، وتأهب · الآن ، أقول لك ، وأكرر عليك القول ، تأهب ·

●

آضحى البحث هذيانا محمـوما · من بئر سـحيق تأتينى الاجابة · عالم من النعاس هو · ومن أغـواره ينبعث دخان أمس منصرم ، اختلطت سحبه وتضاربت · لا شيء غير ذلك ، لكننى اتخذت قرارى · يجب الخروج من البوابات · وهـل أبقى لتنهـال ، وتطمرنى تلال الرمال ؟

●

المساحيق والطلاء كلها زالت · النساء هنا أجمل · سترتاح اليهن على أى حال · عندما يسعلن يقذفن أسنانا ضخمة ، مثل طيور قذرة ، تفتح جناحيها وتكشف عن مخالبها ، لكنهن جميلات ، صدقنى ، مهما أخافتك فى البداية بغرابتهن ، ولكن الغرابة ايماءة الى كنز الأصالة الذى لا يستنفد ·

●

أعرف ماذا ستقولين لذلك الذى بالأمس تعرفت به · ستقولين انك لم تعـرفى الحب ـ أعرف ـ وانك لم تأخذينى بين ذراعيك من قبل · ستقولين له هو ما سبق أن همست لى به عنـد بـوابات الرمال ، وقد ارتعشت شفتاك واختلجت أهدابك · أكانت ارتعاشـة كذب ؟ كلا ، كلا ، لم تكن ارتعاشة حب ·

وتعلمت أنا ماذا سأقول لمن ستحل فى حضنى من بعدك .

بك تدنست ، ونضجت .

لازال على جلدي شذى من عطرك ، فلأتطهر منـه الليلة .

الليلة ، سوف نرتجل عند بوابات الرمال من جديد قصة حب .

أنا فى جسدك ، وانت فى جسـده مسماران دد للمـوت . لعبة الأقنعة تمضى فى صمت . ويجب أن تؤدى بدهاء ، فقد استقبل الجسد وافدا جديدا ، ولن يكون الأخير بالقطع .

أعرف ماذا ستقوله لى من وراء القناع . قبلى لم تعرف الحب . ولم يأخذها بين ذراعيه رجل من قبل . وسأتظاهر بأنى أصدق ذلك الصوت . فليـكن . فانت لم تولدى بعد ، وليس من السهل أن أقول اننى عشت . وهل نخرج من اسار هذا العالم الذى شيد ببراعة وحكمة ومكر ؟ سأرشف قدحى ، وأقول مبديا الاعجاب :

ـ لم أذق قهوة مرة بهذا الطعم .
وسيفد من وراء القناع الصوت :

ـ لا يوجد من يصنع قهوة أفضل منى

اقلب الفنجال • آهز راسي ، وأصدق على كل كلمة تقال •

●

كلا • كلا •• ما عدت أستطيع •• أن أواصل أداء ما افتعلته في البداية ، وتماديت في تصنعه متصورا ان المضى في التظاهر به والتصنع ليس بالأمر المتعذر على • لكن الدور ثقيل ، بل تبين لى فجأة انه باهظ الثقـل • في لحظة ما كنت أتوقعها بأن لسوء الحظ أن كل شيء سمج ودميم •

●

الزمن هنا توقف • والجمال يخلق من العـزلة • جمـــال شرس ، خشن بأن لســوء الحظ ان كل شيء هنـاك ســمج ودميم • مشـــاكل بشرتك ، أيا كان نوعهـا ، ستنتهى • وماذا حقـا يجدينى لـو ربحت بأن لسوء الحظ ان شيء سمع ومقيم • مشاكل بشرتك ، أيا كان نوعها ، ستنتهى • وماذا حقا يجدينى لو ربحت العـالم كله ، أو جعلت آخرين يربحـونه ؟ سرعان ما ستتوقف العجلة ولا يبقى شيء هناك • كل شيء هنا ، لا شيء هناك ، بل ليس هناك حتى ذلك الهناك •

●

كنت عـلى الدوام لا ترضى بالقبح ، وترفض أن تتعايش معه • لكنك الآن سوف ترتضى القبح وتتمايش معه بألفة شديدة • أجل ، بألفة شديدة • هو قبح من

نوع جديد ، مفروض عليك · وسرعان ما ستتبين ان القبح ليس كله قبحا ، والأمر لا يعدو أن يكون مواقف ومواقف ·

●

ولم أكن قد عملت لهذه اللحظة حسابا · لم أدرجها في حسابات الجدوى · وما الجدوى الآن لكل جدوى ؟ انتهى · قضى كل شيء ·

●

هكذا ؟ في التراب ؟! هكذا ؟!

رفرفة جناح وئيد

من شظايا أحلام شيدت . لغو وثغاء وصدى مرتجع . هنا ستتوحد بما هو خشن ضار قاس . مسامير صدئة تدق في الأكف وفى الاضلع والأحشاء والسيقان والجمجمة . الأجنحة اذابت حرارة الشمس وشائجها ، وأضحى كل شيء تمائم . ما عادت للذكريات فعاليتها . لا تصدق ما تستعيدها وتحكيها . بعد النهاية ، لا رجعة الى الماقبل . وقعنا في شرك اللامكان . كي تفلت عليك أن تدور متفاديا عبء الملاقات ، ولكن هل بامكانك أن تنسى مسحة الشر على سحنة تلك العجوز الطيبة ؟ لا جدوى . ماعاد بامكانك أن تدخر بهجة لأيامك المقبلة . كز على أسنانك . لا تدهش ، فتتدلى شفتك السفلى كما اعتدت . الحلو والمر أضحى عجينة واحدة ، صنع منها حتى فراشك الذى رقد فيه غيرك .

●

جيرانك سوف يظهرون لك على هيئة تماثيل مزججة، تخفى الطين تحت البريق ، لكنها على أى حال طينة محروقة ، من أفضل الطين ، طينة أسوان هى . وسوف يؤدى آخرون أمامك ايماءات الحرفيين ، فلا تنخدع

بهم ، فهم ليسوا من صنعوا تلك التماثيل • وفى النهاية ستظهر « جليلة » ملكة الجمـــال التليــد ، فاذا أعطتك الوشـــاح حـــذار ، فهـــذا يعنى موافقتهـــا • قبلتـــك عريســـا ، وســـتحاول اغـــراءك لاثنـــائك عن ترددك الذى قـــد يبين ، فتعـــرض مفاتنهـــا الفـــريدة ، المتميزة عن ابتـــذال الأخـــريات • وفى ضـــــوء النهـــار رغم أن الدنيا ظلام سوف تحتفل بك ، وتعلن للملأ ـ وهى ليست بحاجة الى ذلك على أى حال ، لكنها الطقوس كما يجب أن تعرف ـ انها قد حصلت عليك ، وستتجلى طاووسا جميلا زاهى الريش • فاذا لم تنخدع بالذيل المنقوش فقد نجوت ، وسوف تعيش • لكنك على أى حال ميت لا محالة ، وسوف توضع فى تابوت ليس كتوابيت الآخرين ، لوحاته الخشبية من أربعة ألوان ، الأحمر ، والذهبى ، والأســـود ، والأخضر • وســـوف تحلم ، وانت فى الحفل ، وتتخيل نفسك فرعونا ترقد على حشية من ريش النعام ، بينما يمضى جسمك يسود مثل منتجات عديدة توجد فى مدينة قديمة كانت تسمى طيبة • وسوف تعبر الفتيات فى رقصاتهن عن السعادة ، بينما يقلد الفتيان حركات الطائر ، ويحاول كل راقص أن يظهر قدراته المتميزة وبراعته • تتجمع من حولك الفتيات يفصحن فى رقصتهن عن روعة الشتاء وبهجته •

وفى النهاية ، تقف العربة ذات الثلاثة جياد ، ويخطفك السائق الأجش المتشح دوما بالسواد ، ويطرقع سوطه فى الهواء ، ويمضى بك ، فى حركات سريعة مختالة تشبه حركات طائر أسطورى ، ربما كان نورسا ضخما من بلاد التنين .

●

كانت السقطة ، مثل رفرفة جناح وئيد . لم يبق فى الأرجاء سوى أصداء صرخة ، وخدر نعاس بديد .

أزور على الدوام البيت ذاته .

الأشياء ذاتها من حولك ترقبك من أماكنها ساكنة وديعة .

تصل نساء بأثداء مطاطية ، وأرداف مترهلة . يبدلن فى حضرتك ثيابهن الداخلية ، وكانت من الدانتلا زاهية الألوان . بشرتهن ذات يوم كانت ندية ـ أتذكر؟ـ تلعقها الأشواق . ذات يوم ؟ متى ؟ كنت أعرفهن . يرقصن فى أوضاع مقلوبة . وتبدر منهن ايماءات . تنفرج الشفاه . لو كان بامكانك أن ترى ما وراء الضحكة ، سوف ترى أسنانا نخر فيها السوس . ومن تجويف اسود يقذفن عندما يسعلن غربانا، ويطلقن صرخات .

كانت الدرجات تئز تحت وطء الأقدام ، تتدحرج عليها الضحكات ·

اصعد الدرجات في الليل مثل خفاش ·

اتكىء الى شجرة جسك ثعبانية ، شعثاء الأغصان·

ما عادت الدرجات تقودك الآن الى مكان ·

أرجوك ، لا تنظر الى وجهك فى الغدير ، عندما تنحنى عليه لتشرب ·

●

سوف يصبح ذلك بيتك ومستقرك · لن تكون بحاجة الى عقد ابتدائى أو تسجيل· وما حاجتك الى هذه الاجراءات ؟ هنا سوف تبتعد عن جحيم الآخرين · أمثالك ممن حاربوا الطواحين ، ودخلوا فى صراعات ، بحاجة الى الاستقرار · هنا ستحقق لك راحة البال ، وسكينة البدن ·

هنا ·· هنا ·· لكن عن أى « هنا » تتكلم ؟

هم صخب من حولك

لم آت تأكيـدا لحقـائق ، ولا اجترار الأحداث • حسنا ، حدث في وظيفتي ، ذات يوم اختلال • لا أنكر ذلك • في لحظة صاعقة أنفك اساري• ما عدت استعمالا نفعيا لخامة •

●

تقرن اسمك عـلى الدوام بي • تتشرف بنسبتي اليك • مضيت تطوف المحافل معلنا تبعيتي لك • لكنك، تعرف ، أو يجب أن تعرف ، انني لا أرتضي الانتماء ، ولا اليك أنت أيضا ، يا من اخترتك من بين الأصداف جميعا ، كي أتوسد رحمك ، وبلا دنس أولد •

●

قدر لي ، عبر مشاق كبيرة ، أن أحقق ذاتي • مضيت عبر الزمان ، دون أن أستمد وجودي من مجرد مهـارة صانعي • تجاوزت الملابسات التي أحاطت تحضيري • وما عاد لتاريخ ابداعي ، ولا لاسمك ، يا من جعلتني في لحظة من اللحظات أمرا ممكنا ، أهمية تذكر •

●

تريد أن تعرف المزيد عني ؟ فليكن ، سأبوح لك بما لم أبح به لغـيرك ، ولـكن لو لم تستوعب الأمر فلا تمض تسأل أسئلة ليس لها اجابة عندي •

أنا لا أجلب في النهاية اثباتا أو ايضاحا • لست ارضاء ليقين ، ولا القاء لضوء • سوف أنتشلك فحسب • حسنا ، سمني اذن ان شئت « ملاذا » ، « تحفة » ، « منخلصا » • لكنك ستشعر ازائي بالضآلة والانطفاء أيضا، فكما انني الوجه الآخر للممكن، أومىء الى منطقة لا يكون فيها عدم الممكن هذا ، ضياعا ، حتما •

أى منطقة هذه التى أحدثك عنها ؟ ، حسنا ، لا تتسرع • دعني أشرح لك ، وهو ما لم أفعله من قبل مع غيرك ، وربما أيضا لن أفعله مع أحد من بعدك • هل رأيت في منامك برقا وامضا ؟ هل رأيت في لياليك سطوعا متفردا في أغوار الظلمة ؟ هل رأيت سلما تنزل عليه الملائكة من السماء وتصعد ؟ كلا ؟ لم تر ؟ حسنا ، فلتقنع الآن بما أقول ، وأعرف أن ثمة مثل هذه اللحظات ، وأن لمثل هذا السطوع وجودا • ربما لم تكن من قبل تعرف ذلك ، ولا كان بامكانك أن تعرف ، فقد كنت متلاشيا تحت ركامات، اما الآن ، فقم، أنت تبصر •

●

أنا نغمة ، ضوء استحال لونا ، حيز تجسم • أنا وهم من ذات الطينة التى تستخدم فى تشييد التماثيل ورصف الأزقة على السواء ، لكنني لست مجرد طينة • في شيء ليس فى غيرى • هم مجرد إستخدام ، أما أنا ففى ذات الوقت الذى أظل في الطينة منغلقة ، اكتسب شيئا ليس فيهم • أنا اضافة •

أنا أوجه ، وأشع ، وأقود ، وأجذب •
أنا أشدو •

عليك الآن ، أن تبذل جهدا لاستنباط هذا الشدو .
من أين يأتى هذا الشدو ؟
تسأل ؟

●

عليك كى تفهمنى أن تقبل على بوعى جديد •
عليك على الدوام أن تكشف فى أبعادا ، ربما ما كانت قد دارت بخلد صانعى ذاته • وما الجدوى الآن من ذكره ؟
انى انفصلت عن صانعى ـ أهو أنت ؟ ـ ومضيت موغلة فى طريقى • أريد ، كما ولدت فى أعماق صانعى من قبل، أن أولد من جديد ، فى أعماقك أنت •

أتعرف اذن ، ما الذى جعلنى آتى من بعيد ، عبر الظلمات والخرائب اليك ؟

●

لا تعد الى انكار المكنون ، فليس الجوهرى هو الطين أو الحجر • فى أعمق الأعماق اشعاع، وجذب، ونبض • هناك عنصر كامن لا يحد •

ابحث اذن عن الامتداد اللامتناهى ، بغير قيد من مكان أو حاضر • نقب لا عن الطين والحجر ، بل عن العمائر التى تشدو • فهذا الشدو انما من الأعماق

ينبع • ومبارك من يمضى يسـبر الأغوار ، حتى يفد الى أسماعه فى الصمت ، شدو الينبوع •

●

هناك فى الأعماق أنا • فلست من هـذه الأشـياء التى تصنعها الآلات ، وتنتجها المصانع كل يوم • لست أنا منهم •

●

هم صخب من حولك ، وأنا أشدو • أقص عنك ذلك الصخب • وأبحث في الأعماق عنى ، أنا الصمت •

تمنيت أرضـــا

أهذا هو الوجه الذى بكيت مريرا عندما غاب عنك، مؤثرة شفتاه أن تتلقيا من غيرك القبل ؟ أهــذا هــو الــوجه ؟ أنظــر الى المرآة · اطلب مرآة ، فاذا لم تجد انكفىء على مستنقع ، وأنظر ما انطبع على ســطحه من قسمات آسنة ·

●

يجب أن تتعلم كيف تموت مع من تكــره ، كمــا كرهت قبلا من عشت معهم · حســك بالجماك يجب أن يشوبه مذاق الكراهية · بها وحدها تقوى على تجاوز الدمامة الطاغية ·

●

تنهد بارتياح ، ومدد جسدك فى فراشك الحجرى، فلن تجد الى جوارك دودة تتمدد بحيز المكان كله · لن يتقلب الى جوارك جسد عدوانى شره ، يكتم باسم الحب أنفاسك ، وهو انما باسم الكراهيــة ، حتى الثمالة ، يمتص دمك ، ويتركك كل يوم ، بل كل ساعة ، زجاجة فارغة من كل محتوى ، أو رجاء ، أو معنى ·

●

أعد التوازن الى نفسك · ثم أعده الى من حولك · عانيت هناك من الوحشة ، لن تشعر هنا بالضيعة · لن

تحتاج الى الأقراص فى الصباح ، أو قبل الدخـول الى المخدع • ولن تبحث عن نظارتك ، فلا تجدها • ستكون على الدوام ، مكسورة العدسات على عينيك • تعطشت الى الدفء ، ولن تكترث هنـا بمن لا يبـادلك الحب • أطرد الخوف الذى عشش بداخلك • بدد الهواجس التى تلدغك كأفعى • عذابات طفولتك وهموم الرجولة ، احباطاتك كلها ، اتركها خلفك ، فلا أحد منا يبـدى نحوك اهتماما ، ولن تحتاج الى نسج أكاذيب عنـدما تعوزك المادة الضرورية • حاول فحسب أن تبث فيمن حولك روح التسلية والبهجة •

●

بدد شكوكهم فيك •

(صمت طويل ثم يعلو عزف منفرد)

●

وتريه ! عزف كمان ! • من أين يأتى صوت هـذا القوس يلمس الأوتار فى هذه الخرائب ؟! من أين ؟ من أين يفد هذا الصوت الشجنى ؟ أهو أنين أم نواح أم آهة أم صراخ مكتوم ؟ أم لا هذا ولا ذاك هو ، بل نفخ الريح فى بطن الجبل ؟

(يمضى العزف مبتعدا حتى يتلاشى ، ويعم الصمت من جديد)

●

من كانت ترقد في هذا الفراش من قبل ؟ شذى عطرها لازال عالقا به · وخصلة من شعرها لاصقة بحشيته · من ؟ لا تسأل أسئلة ، سبق لغيرك أن سألها عندما رقد في هذا المضجع من قبل ، دون أن يلقى اجابة · من ؟ متى ؟ كيف ؟ وعلى الأخص لماذا ؟ أسئلة فات أوانها ، وما عاد لها جدوى ·

●

لا تستدع الماضى ، دعه بأيامه الخوالى مقصيا · دع أيضا المستقبل حتى لا يجتاحك بغوامضه ، ويقضى عليك ·

انت الآن في لحظة تنوير ، وتهدمت من حولك الحوائط ·

وجدت خلاصك ·

●

لا تعتقد انك انسان رائع · انفض عن كاهلك الغرور · تواضع ، ترى أشياء ما كنت من وراء كبرياء نجاحاتك ، تراها ·

●

ما عدت بحاجة الى كل هذا الريش ، فما عاد هنا موسم للتزاوج ·

اقبع في ملجئك · ولا تشرئب برأسك ، متطلعا من جحرك ، باحثا عنها ، فهي غير موجودة بدورها مثلك ، وان كانت في مكان ما من حولنا ·

●

تعانى من اضطهاد مرير ، تتورط فى الكذب ومخادعة نفسها والغير ·

بعد أن نظرت الى وجهها في مرآة معتمة ، رحلت · عانت خواء عاطفيا ، وللفرح لم تذق طعما ·

تقدمى · تقدمى · اقتربى · لم هذه النظرة الجزعة فى عينيك ؟ ألم ترى من قبل من تعرى من لحمه ؟ اننى هنا فى حمام الرمل والتراب هذا ، لابد أن أتعرى من كل ما هو ترابى · ولن يبقى منى الا ما هو مقاوم ، نسبيا على الأقل ، وها أنا الآن يا صغيرتى ، أتعرى أمامك ·

وسوف أكون مهذبا مع من هم مهذبون · أما من ليسوا مرهفى الحواس ، فلا جدوى من ممارسة الرقة والتهذيب فى معاملتهم ·

●

تمنيت منذ شبابك أرضا للحرية ، وها أنت تضع قدمك عليها · هنا لن يوجه اليك أحد نقدا · لن تسمع اهانة · كفاك ما تلقيته من اهانات هناك · كفاك ·

انهض ، فقد استرددت حريتك • فى هـــذه الأرض التراب ، انهض • ارقد • تمدد ان استطعت، أو سر في الهواء رويدا ، فما عاد أحد يعترض طريقك • الآذان كهوف تتبدد فى متاهاتها الكلمات ، وتضحى أصـــداء مبهمة مفرغة من معانيها • والمآقى آبار سحيقة ، تهوى فيها الاهانات بلا جلبة ، وتستقر فى القاع ماء آسنا • الصمت سكاكين تقطع الكلمات ، اربا اربا ، وتذروها فى مهب الريح قبلات •

●

هنا ، لن يضايقك أحد بقول جارح • تستطيع أن تنام ملء جفنيك ، ان بقى لك منهما شىء ، بل وان يعلو شخيرك ، فلن يزعج ذلك أحدا، ومن ذا الذى يوجد هنا، بعد كل شىء ؟ لا أحد • أعنى لا أحد سوى نحن ، ونحن لا يحسب لنا حساب ، ولا ندخل فى أى تعداد • سقط متاع، نحن ؟ هذا ما آل اليه حالنا ، أو حال من لم تمتد اليه يد الحراس • فنحن ، مثل كل شىء فى هذا الزمان أضحينا محلا للبيع والشراء ، بل وللصفقات الـكبيرة أيضا • ويدخل المال جيوب غيرنا • ولكن ما الذى يضيرنا فى ذلك ، أليس الكفن بلا جيوب ؟ فلنعد الى الموضوع ، ولنبق فى حالنا ، الذى أضحى لا يسر ، على أى حال • فلنعد الى موضوعنا • أقول لك ، هنا نم ، واسترح • لن يقض مضـــجعك ولا نقيق تلك الضفدعة الضـــخمة الجميلة الجوفاء • وحتى لو جاءوا يحملونك لا تكترث

بهم · لا تتململ فى مضجعك ، ولا تعنى حتى بأن ترفع أنظارك اليهم · ابق فى مكانك ، ودعهم يفعلـون بك ما شاءوا ، ولا تعر تصرفاتهم الخادشة للحياء التفاتا ، وهل لك حياء حتى يخدش ؟ ارح بالك تماما ، وانفض عنك كل التوترات والهموم ، فهنا لا شىء · لا شىء هنا·

●

لا · لا شىء · مجرد ثعبان صغير ، ربما جاء يندس بيننا ، يلتمس الى جوارك الأمان والحماية ، أو يبحث عن دفء مفتقد ·

حتى الأفاعى تبحث عن الدفء ، أو عن الظل تحت كيانك المسجى مثل كومة من زلط ·

●

ياه ، على هذا السرير ، مرة أخرى ومن جديد تجد الى جوارك فى ذات المكان وحشا جديدا !

الوحش القديم هجرك ·

فى ذات المكان الذى كان يتمدد فيه الوحش القديم ويتمطى ، ينام الآن وحش جديد · مرحبا ·

عيون لا تطرف

علمني القتل . أجوب الدروب خائفة . ماذا لو
ر لي أن أسقط على الارض جاحظة العينين مثله ؟
ين لو قدر لي أن أبقى في مرقدي أبد الآبدين ،
...رة . لكن ماذا لو استيقظت ؟ ماذا لو استيقظت
ي...دك أمامي تمثل . وفي أعقابي تخطو، وإلى جواري
نف ؟ تهمس ، وفي أذني يسرى، حتى النخاع، فحيحك؟

●

أريد حصانا أسود . أربت على عنقه المشرئبة
سند رأسي . أمتطيه وأركض ، أركض ، في الليل
كض ، وكلما سمعت دبيبه اطمئن قلبي . آنظر على
دوام خلفي عله ، هو أو أي شخص من طرفه ،
تعقبني .

●

سمعت أن «أبا الليل» يعتزم تسليط طوفان ليفنى
لبشر .

●

قررت على الفور أن أزوره ، وأتشاور معه . في
طريق عصفت الريح . علا زئيرها . امتلأ بالارتياح

تجـويف صـــدرى . هطلت الأمطار ، فبللت شعرى .
التصقت غدائره بكتفي ومؤخرة عنقي ، والاطــراف
بأعلى عجزى . رفعت ذراعي متوسلة ان تغطى السيول
وجه الارض ، وألا تنقطع أبدا .

●

غمر الظلام وجه المسكونة . في الظلمـــة هـــدأت
نفسي ، فما عاد يتوجب على ، مثل الاخرين آن أهب من
رقادى ، وآستيقظ . ولماذا أستيقظ؟ آلأسمع آلسنةاللهب
في الأتون تئز وتقرقع ، انتظارا لأن يلقى بى فيهـــا
عندما تحمى ؟ ولماذا ؟ ألم يعلمنى هو القتل ، فقتلته ؟

فى اليوم السابع ، ما عدت آسمع للعاصفة صوتا .
ما الذى حدث ؟ هل قتل العاصفة كما قتلنى من قبل
وحان دورى أن أنهض ؟ أطللت من صـــندوقى . ومن
كوتى ، نظرت . ملأت الضياء عينى ، فما قدرت للحظة
آن أبصر . نظرت الى سطح المياه المترامية الأطراف من
حولى . كان الصمت شاملا والأمواج ساكنة كالصخر
تطفو بعض الجثث ، والبعض ينبىء عن وجـوده في
القاع من حولى . كل البشر تحولوا الى طين وأعشـــابا
مائية . هل آكون الوحيـــدة التى نجت من الطـــوفان
فأنال البركات ، ويغفر لى ؟

لا أطلب سوى الاشفاق والرحمة . لا آطلب غــير
ذلك . بداخلى بذرة لكل مخلوق حى . وآســتطيع آن

أملأ وجه الأرض ، عندما تجف ، ثمارا من بطني •
وليس بلازم أن يكونوا ضائعين ، يائسين أشرارا ،
مثلما كنت ، ولكن هل بامكان الذئب ألا يخطف الحملان،
والأفعى ألا تبخ السم وتلدغ ؟

●

من قبل علمتنى القتل • علمنى الآن الحب •
علمنى أن أبدع من الطين بشرا • علمتنى الشهوة
والادمان ، علم ثديي الآن أن يسقى الرضيع لبن الحنان •

ها أنت يا قاسية القلب تلينين • تذوبين رقة ،
يا صاحبة القبضة الحديدية • أنسيت النصل الذى
يقطر دما ؟ يا جدباء ، تريدين أن تضحى الآن حقلا
للحراث معدا ؟ تصرخين « أريد بيتا » ؟

صفت السماء • فتحت النافذة على وجل ، فرأيت
كل شيء حسنا ، والبشر استحالوا طينا ، والأطيار على
قمم الأشجار تطلق صيحات الثكالى ، والحمائم التى
تفحمت تطلق هديل الندابات •

بالأمس لم نكن بشرا • كانت المردة والشياطين
والوحوش الرهيبة قدوتنا • دلنا أنت اليوم على زهرة
الخلود ، ونجنا الآن من الثعبان الأرقط •

●

تعال الينا • لا تذهب الى هناك • لا أحد يذكرك
هناك • لا أحد هناك • الكل رحلوا • السوق انفض ،

والبدو نهبوا كل شيء ، وما عاد لهم بدورهم وجود . ثقيلي الأحمال ، ضلت قوافلهم الطريق في الصحراء . خرجت الأسود البطاش وانقضت عليهم ، وهلكوا . ما عاد أحد هناك . نحن وحدنا هنا ، ولا غيرنا .

تعالى الينا . لا تخافي . نحن نعرف كل شيء . الجريمة الكاملة التي كان يحكي لك عن تفاصيلها لا تنطلي علينا . سفاحا حملت به ، وفي السر ولدته . لا شيء يحدث بالنسبة لنا في الخفاء . لا شيء . أودعته صندوقا قديما ، وغطيته بالأعشاب الجافة وبعض الأحطاب . قلت هذا مركب شمس .

●

غازلني . أمضينا معا ساعتين .

●

واذا خرجت من عندك هنا ، من هذا البيت الأصفر القديم الرطب خلف مبني المحكمة ، فمن ذا يكون أبا لهذا الطفل ؟ في أحشائي سوف يتقلب ، وعندما يخرج الى الوجود سيكون ملعونا . سوف يسأل « من أبي ؟ » ولن يلقى اجابة . وأنا من قبله لن أعطى اجابة . سأخفض بصرى الى الأرض . سوف ألقى القصاص . أتعرف ما قصاص الحمل سفاحا عندنا ؟ ما قولك اذن فيما فعلت بي ؟ هل سوف تكفيني هذه القروش التي تدسها في راحتي ؟ مرحى لك ، مرحى ، سوف تخرج في عباءتك

الحريرية على الناس ، تدعى الأخلاق الحميدة ، وترجو أن يتخذوك قدوة ، ولكن من آين هذا الطفل؟ وبأى اسم اذن اسميه ؟

●

هل تعرف ان الذى تركته فى صندوق السيارة هو زوجى ؟ ساعدنى ٠

●

ألقيت به فى النهر ٠ ترفقت به الأمواج ٠ دفعته عبر الظلمات الى الشط ، حيث تلقفته آيدينا ٠ من ترعة البراكين انتشلناه ٠ حملته سواعدنا ، ووهبناه حبنا ٠ وقال البعض « فلنئد هذه البذرة ، قبل آن تنمو، وتعمل فينا القتل » رفضنا ٠ وعلمناه الحب ٠

قومنا فكره الحائر ٠ وهدأنا من روعه ، فالموت فى الأرض لابن الأرض خاتمة ٠

كنت تفتقدين الدفء ، وعلمناه نحن كيف يهيىء لنفسه قبرا من الثلج ٠ أودعنا فى راحته القلب الذى بعد أن قتلته عنيت بالاحتفاظ به ٠ كنت تعرفين انه يحبك ٠ لم يعرف قلبه الشر يوما ، ولم يمتلىء بالحقد ٠ فى الصباح نوقظه ، ونقدم له افطارا ممزوجا بالسم ٠ وعندما يتناوله فى كل مرة لا يموت ٠ فقط يسقط ٠ وتحتضنينه ٠ تطلبين منه آن يسامحك ؟

اليوم تكتمل الخديعة ، تماسكى . ولا حتى المنجمون يستطيعون أن يخبروك بما انت وحدك تعرفين . ببنى قناع البراءة . لا تتحطمى . دعك من البكاء . بعد زوجة أبيه جئت أنت . خدعته . قلت آى فتاة تتمناك زوجا ، ووافقت على الفور .

●

استيقظى . عشب الشيح يغلى . الرعشة فى كل الأطراف . اللون أصفر ، والتساؤل فى العينين أبدى . الطرقات على الباب تعلو ، ويتحول كل شىء الى رماد . الأزرق يطفى . وفى الترعة القريبة استقر القلب ليؤنس وحدتك .

تماسكى . لا شىء . انه نوع من التحدى ، وفى الليل نشق طريقنا عبر غابات الشوك ، والى الفجر نمضى .

●

تصدى للشر ، وارتدى درع الرعب . استقل عربته ، وانطلق عبر الاحشاء ، فنظم الكون ، وخلق من أمثالك كثيرين . نفث من شفتيه فى الطين ألسنة اللهب ، وجعل منك مرضا مسلطا على الأبدان . لكن بدونك ، على أى حال ، ما كانت الأطيار تبنى أعشاشها بين الأغصان ، وما كانت أسماك البحار لتضع بويضاتها فى الاجمات ، ومن السماء ما كانت السحب لتبعث

أمطارها ، وما كان فى البرية لينمو النبات والشجر ، وما كانت لتنبت عند الينابيع وفى قاع الخلجان زهرة الخلود •

●

انحنى • أربت على شعرها ، وأقبل جبينها ، حتى فى أشد حالات تقززى •

وجدت صحابا جددا

(خطوات تقترب)

أحببتــه • عاملك كطفــل يحتــاج الى تــرويض ورعاية •

يلاطفك أحيانا ، وأحيانا أخرى كثيرة ، يقســو عليك ، لتتقيأ ما بداخلك • وحتى عندما كان يغيب عنك ، وترفل فى الحرير ، كان يقول لك « لا تنس • انى آت اليك » لقاؤكما محتوم ، فأصبحت عاشقا له ، ومنحك هو أشد أسراره خفاء • ما عدت تكترث بسعادة أو معاناة • وما عدت ترهبــه • « غدا ، ترد ما للطين للطين » منه جئت واليه تعود • مفتوح العينين ، مضيت تسير الى الهاوية •

علاقتكما هى وحدها الأبدية • ما عاد هو يذهب ويجىء • احتضنته ، حتى وانت تمارس عـلى الأسرة الوثيرة العشق ، وتقذف ما بداخلك ، كنت لا تنسى انك طين ، تقذف فى رحم من طين، طينا• صار يعيش معك • يحتضنك ، مثل جلدك ، ويحتويك •

(موسيقى)

نبيل هو ملىء بالحياة ، حقـا • غامض ، مبهم ، لا يستجدى اعترافا ، يهيم فى البوادى وفى المـدن • ينزل الاقبية ويطوف الأسطح ، وتلمس هامته السحب •

(خطوات تبتعد ـ يفد الصوت من بعيد)

سنوات طوال ، ظـل ـ ربما دون آن تعـرف ـ يحميك • يعد العدة للقاء ، طال اشتياقه واشـتياقك اليه • تتحاشاه ، وتبحث عنه • لا مفر • الخيوط جـد متشابكة • والدروب كلها تسـكب المارة من درب الى درب •

(صمت)

يتبعنى وأتبعه • فى الخفاء أتبعه وفى العلن • دون أن يعرفنى أتبعه ، ويتبعنى دون أن أعرفه • اذا لاحت لى هزيمته أتقدم وأنتصر • واذا بدوت انى أنهزم خطا هو قدما وحقق الانتصار ، كل شىء يحدث لى وله معا •

(خطوات تقترب)

ـ اضطرتنى ظروف آن آتغيب •

(برهة صمت)

بادرنى بجزع :

ـ أحس انك تضيع منى •

تهدج صوتى ، وسألت :

ـ أحقا تبحث عنى كما أبحث عنك ؟

لازالت النافورة تقذف الماء فى الخرائب ٠

ولا زال العصفور الذى جمده البرد يفتح منقــاره محاولا الغناء بصوت مختنق ٠

والقط جاء يتمسح بساقك ٠ تشعر بدفء فرائه يلامس سروالك ٠

عاد يستيقظ بداخلك الوهم القديم ٠

(صفير قطار يبتعد)

جاء الصوت من سماعة التليفون ينسكب فى أذنيك صارما :

ـ يبدو انك احتفظت فى أعماقك بعدم اليقين ٠

ارتبكت ٠ لم تعرف بماذا تدرأ هذا الاتهام ٠ قلت :

ـ بين الفينة والفينة ، يراودنى أمل ٠

أجاب :

ـ نحن لا نحب ، ولا نكره ٠

صمت ٠

ـ ولا نأمل ٠

صـمت ٠

ـ ننظر الى من حولنا بعيون حزينة ، لكنها تفزع٠

ـ أعرف قواعد اللعبة ٠

ـ اذن ، قل لى لماذا هى تفزع ؟

ـ لأنه ما عاد ينطلى عليها الزيف ٠

جاء صوته لاذعا :

ـ أفبعد ذلك تأمل ؟

لم أجب ٠

أصدر حكمه ، وكان صارما :

ـ من هذا الأمل ، سوف ينحدر شقاؤك ٠

عاد جرس التليفون يرن ٠ كان هو :

ـ تعرف لماذا أقسو عليك ٠

وقبل أن تنتهى المكالمة ، أضاف :

ـ لأنى ، ولا شك ، أحبك ٠

(جلبة)

ذات صباح يقرئك التحية ٠ يقول لك « لا تخف ، آمن فقط ، انى أحبك » ٠ يعانقك ٠ يستل خنجرا ، وبطعنة عميقة فى ظهرك يرديك ٠ تنظر اليه بعينين حائرتين، فيقول لك «عارك انتهى»٠ كل شىء سينتهى٠ وبعد قليل ، تبدأ معاناة من جديد ٠

(أصوات مختلفة ــ لهاث)

تقف على قدميك . تكتم نشيجك ، فالآخر لا يجب أن يكتشف شقاءك . تتركه ينصرف . يستدير يمضى يجرجر قدميه ، بينما الضوء فى الأرجاء يخبو .

تعلمت كيف تنزوى عندما يتوسل اليك . تتراجع لأنه بغير ذلك سوف يموت . فلا يأبه لوجودك بعد ذلك أحد .

(صمت مطبق . ثم هسيس الريح)

مضيت أجلس فى الركن المهجور ، أنتظر .

على الدوام أنتظر صوتا ، وقع خطوات ، طرقا ، نداء ؟ بادرة ما ، لا أنكر . وصلنى الصوت أكثر من مرة . تارة كان همسا ، وتارة كان صياحا هادرا ، ولكن على الفور كنت أصم أذنى . وهكذا عرفت الصمت .

طردت عن غصنى العصفور الغرد .

تبدلت الأزمان ، وها أنا أنتظر عودة غائب لا يجىء . الروح توحشت . امتلأت رعبا . الستائر مسدلة . هبط الليل ، هل سيجىء ؟

(خطوات مختلطة)

الدروب مليئة بالشراك . وما أكثر ما نتردى فيها مختارين ، فقد أجهدنا الاحباط والملل . ترى هل

تشرق شمس من جديد ؟ هل يطل من السماء ، البعيدة المتربة ، قمر ؟ متى ؟ .

(موسـيقى)

وفجأة يتفجر في الأرجاء ضـوء باهر . الأسرار تنفضح . الانتصـار لم يكن انتصارا ، وذلك الآخـر ينكشف . كم تتوق أن يهبط الليل ، وألا يشرق النهار . تنكس الرأس وتجرى باحثا عن ملاذ ، فيـه تختبىء ، أضحت الهزيمة حتفك وحليفك . تتبعهـا وتتبعك . التصق بك ، يا للعار ، الى الأبد .

النهار يهتك الحجب . أهيلوا التراب ، وأسدلوا الستر .

الليل وقت للحصـار . يقيم من حولنـا حوائط حصينة ، تصد من يريد اختراقها، ويحفر خنادق للعيان غير بادية ، تخدع من تسول له نفسه اجتيازها . الليل الرحيم يحيطك بدهاليز ملتوية . يسمرك فى مكانك ويحميك . ويكف الوحش الضارى عندئذ عن الزئير .

لا تسأل من أين يفد اليك هذا الزئير . كفاك انه سيخفت ، ولن يعود يصم آذانك ، ويقض مضجعك . القتلة من حولك ، بلا عقاب ، خارج الأسوار ، يرتعون . ينتظرون أن يطلع الفجر ، حتى يعلنوا للملأ براءتهم .

(تنهد الموسيقى)

لو جاء من جديد ، لن يجد الباب موصدا • تعال ، نتحادث• جمدني برد العزلة بين قوم غرباء • لو جاء ، لو جاء ، لو جاء ••

الأفضل ألا يجيء ••

عبثا سيطرق الأبواب ، ولن يفتح له أحد •

وجدت صحابا جددا •

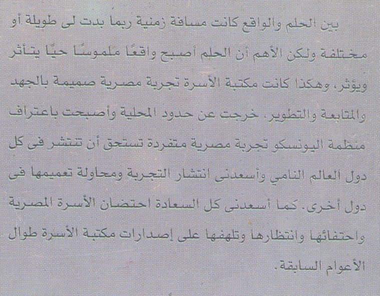
ويا لبئس الصحاب •

(صخب ممتد)

« الدقى ــ جاردن سيتى ــ مايو ١٩٨٧ »

الفهرس





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير. خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٠ قرشًا